الجـمهـوريـة الجـزائـريـة الديـمقراطيـة الشعبـيـة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهـران

كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

تخصص علم الاجتماع الهوية
والتحول الاجتماعي

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم

الموسومة:

"الانحراف الاجتماعي"
أسباب الانحراف لدى الطلبة الجامعيين الداخليين
-إقامة 19 ماي 1956 – مدينة وهران

إعـــداد الطـالبة:
معطى سولاف

إشـراف الأستاذ الدكتور:
يزلي بن عمر

أعضاء لجـــنة المناقشة

1- أ. سلاك بونوة ، أستاذ التعليم العالي، جامعة وهران .....رئيسا .
2- أ. يزلي بن عمر، أستاذ التعليم العالي، جامعة وهران.....مقررا.
3- أ. مذكور مصطفى، أستاذ محاضر –أ- ، جامعة وهران..... مناقشا.
4- أ.سكوك قويدر، أستاذ محاضر –أ-، جامعة مستغانم..... ...مناقشا.
5- أ. طواهري ميلود، أستاذ محاضر –أ-، جامعة تلمسان..... مناقشا.
6- أ. بن عون بن عتو، أستاذ محاضر –أ-، جامعة سيدي بلعباس..... ....مناقشا.

السنة الجامعية 2012-2013

شكر

شكري للأستاذ المؤطر:

" يزلي بن عمر "

و الى كل من ساعدني على انجاز هذا العمل

من قريب أو من بعيد

يقول أحد المفكرين الغربيين:

"إن عصرنا الحالي القلق الذي جاء بعد حربين عالميتين يشهد اليوم انهيارا شاملا للمعتقدات السائدة والمفاهيم الحالية الشائعة" [1].

1- جوليان هسكلي، الأنصاري محمد جابر، **العرب والعالم سنة 2000**، دار الآداب، ط1، 1988، ص 46 عن عبد الرحمن بن صالح المشيقح، **إطلالة على دراسات المستقبل**، مكتبة العبيكان، ط1، 1997، ص 101.

مقدمـــــــــة

- مقـــدمـــــــة

للتاريخ مراحل تتابع وتعاقب ضمن ما يسمى بالسيرورة الاجتماعية، وهذه المراحل التتابعية أفرزت العديد من الأنماط الجديدة لأشكال مجتمعات اختلفت أشكالها ومضامينها، كما أنها اختلفت في الأداء الوظيفي للأنماط البنائية. من حيث الشعور بالانتماء، أسلوب التفكير، وطبيعة التشكيلة الاجتماعية نفسها.

فالشعوب عبر التاريخ خضعت لحتمية الإفرازات الآنية التي تفرضها كل مرحلة من مراحل المسار الزمني، وبالتالي أنتجت هذه التحولات، والتغيرات في أشكال المجتمعات من مجتمعات بدائية لا تعرف غير الصيد والقنص، إلى مجتمعات زراعية فمجتمعات مصنعة.

هذه المرحلة الأخيرة، التي تعتبر إلى أبعد حد، المرحلة الأكثر جدالا وصراعا في التاريخ الإنساني من خلال كل الطروحات والإفرازات التي أنتجتها وأحدثتها، والتي أعطت بدورها نسقا جديدا يحمل تناقضات مختلفة، أهمها الصراع الواضح بين النمطين التقليدي والحديث في أسلوب الحياة وفي مختلف المجتمعات.

فقد طرحت مفاهيم جديدة في هذا الأسلوب من بينها فكرة التنمية وعلاقتها بالشعوب، فكرة الحداثة وعمق المعني فيها وفكرة العولمة وكيفية استغلالها وطريقة نهجها.

إذ تبدو مواطن التغيير كثيرة ومختلفة، وحاملوا المرحلة التغيرية مختلفون حتما، من شعوب وأقوام ومراحل زمنية وأصناف بشرية (أعراق)، يمثلها الصراع الديني أحيانا والصراع السياسي والاقتصادي أحيانا أخرى.

كما أن للصراع الاجتماعي والثقافي دور مهم في مراحل التغيير التاريخية لمختلف الشعوب.

تبدو ضمن هذه الحلقة، "أي حلقة التغيير"، الحركة النسائية، وما أحدثته من تحولات ثقافية واجتماعية، بارزة وهامة في المرحلة التاريخية المؤسسة للتشكيلة المجتمعية، وهذا في ظل التحديات الكبرى والرهانات التي أدخلتها في حالة صراع دائم، حاملة لشعار الحرية والتحرر، والمطالبة بالمساواة مع الرجل.

لقد أدت هذه الشعارات وهذه النزعة الأنثوية في كل المجتمعات إلى دخول المرأة في صراع واضح مع القيم العرفية التي سطرتها لها قوانين الجماعة على اختلاف أنواعها محدثة ما يعرف "بالتناقض الاجتماعي" داخل النسق الواحد.

فالتغير الاجتماعي، حتمية تاريخية تمر بها المجتمعات. ورغم وجود هذه التناقضات المتراكمة إلا أن هذا التغيير لا يحدث دفعة واحدة وعلى كل المستويات، بل يحدث بدرجات وأشكال مختلفة، "وهو ما يحدث ارتباك اجتماعي وفي أفكار الناس مما يؤثر على سلوكهم وموافقتهم، مؤديا إلى مشاكل اجتماعية تعكس على فئات المجتمع ولو بدرجات مختلفة"[1].

في هذا السياق لعبت المرأة دورا محوريا في حمل شعار الصراع مع القيم العرفية والمطالبة بالتحرر مع بداية القرن العشرين، "حيث كافحت المرأة وطالبت بحقوقها ومساواتها مع الرجل.

1- الحيدر إبراهيم، **النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**، دار الساقي، ط1، 2003، ص73.

وبدأت مرحلة المنافسة والخروج إلى ميدان الشغل والتحرر من قيود العرف واضحة المعالم، رغم أن هذا التحرر حمل في أحشائه تناقضات اجتماعية عميقة، عانت منها المرأة"[1].

إلا أن التأكيد والإصرار على إثبات الوجود "النسوي" "أو الأنثوي"، بقي مستمرا وظل متلازما، مشاركا في مراحل التغير الذي تشهده المجتمعات.

ومع بداية القرن العشرين، شهدت الحركة النسائية المطالبة بحقوق المرأة، تحولات كبرى، تمثلت في كفاح المرأة من أجل الحصول على حقوقها ومساواتها بالرجل ومشاركتها إياه في الحياة العامة. حصل هذا ليس على مستوى العالم العربي، بل على مستوى العالم كافة.

"فقد جرت محاولات عدة لتحرر المرأة والعائلة من "قيود التخلف الاجتماعي". تزامنا مع هذا سوف تنهار معتقدات وتبرز أخرى، ذالك أن انهيار المعتقدات هو تفسير لواقع تأثر بثقافة، فتنتج ثقافة جديدة.

فالمعتقدات ذاتها، هي أصل التكوينات الاجتماعية تاريخيا، دينيا، ثقافيا وحتى سياسيا. كما تمثل تعبيرا واضحا عن هويات الأفراد التي تختلف هي الأخرى حسب التكوينات التاريخية.

1- المرجع السابق، ص 70.

الفصل التمهيدي

1. الإشكال
2. الفرضيات
3. دوافع اختيار الموضوع
4. الهدف من الدراسة
5. مجال الدراسة
6. المنهج
7. تحديد عينة البحث
8. تقنيات البحث
9. زمن الدراسة
10. دراسات سابقة
11. تحديد المفاهيم
12. مخطط العرض
13. صعوبات البحث

1- الإشكـــال:

لقد شكلت المرأة عبر التاريخ، جزءا من هذه التحولات والإنتاجات المجتمعية. إذ تغيرت مكانتها ووجودها الاجتماعي، عبر مختلف الحضارات والتاريخ وبقي دورها كأم وكزوجة وكإبنة، وكصديقة... قائما على اعتبار أن هذا الدور وهذا الوجود، محددان تاريخيا وطبيعيا.

يبدو أن المنزلة والدور اختلفا حسب طبيعة كل حضارة بين من قدس هذا الكيان فأعطاه هذه الصفة، وبين من ربطه بالرذيلة، فاحتقرت الأنثى وأهينت وأصبحت تمثل عنوان "العار". فوؤدت أحيانا، وحرمت من أدنى حقوقها أحيانا أخرى .

"الموقف من المرأة، كما أشارت إليه "ثريا تركي"، هو موقف من لب حكاية المجتمع الكبرى، ألا وهي علاقة "الحداثة بالتقليد". من هنا يجد الباحث في قضايا المرأة نفسه بين فكي رحى، قد يصل به إلى تعميمات حول علاقة المرأة بالتاريخ والمجتمع الكبرى، أو قد يجد نفسه مطالبا بأن يحدد موقفا من حكاية المجتمع الكبرى، والتي تمثل المرأة فيها أحد الأدوار المهمة"[1]، والحديث عن وضع المرأة متغير.

فرضت المرأة وجودها ككيان مستقل له حقوق، وعليه واجبات فعلية مشاركة بذلك في تقرير مصيرها، وكان ذلك جليا من خلال المؤتمرات العالمية التي خصصتها الأمم المتحدة حول المرأة. خلال سنوات مختلفة.

1- تركي ثريا، **هكذا تكلمت النساء**، دار ميريت، القاهرة، ط01، سنة 2006، ص09.

"كمؤتمر مكسيكو (1975)، ومؤتمر كوبنهاكن (1980)، إلى مؤتمر نيروبي (1985)، إلى مؤتمر حقوق الإنسان (1995)" [1].

شكل هذا النوع من التحرر لدى فئات نسويه مختلفة نوعا من اللاتوازن والإهمال بإدراك أو بغير إدراك، وأحيانا أخرى بفعل التأثير الممارس على النساء، نوعا من فقدان القيم المعيارية التي تتمتع بها المرأة. وهذا ليس لكونها كائنا بشريا وحسب، بل لكونها "أنثى"، تجعلها كيانا مختلفا عن "الرجل" كونه "ذكرا". هذا التمايز أو التناقض هو واقع إلاهي "طبيعي" إلزامي، لا يمكن مجاراته.

فالمرأة بتركيبتها الفيزيولوجية والنفسية ضعيفة أمام تركيبة الرجل الفيزيولوجية والنفسية القوية.

ومن خلال تبني أفكار الحرية والتحرر وعدم فهم مثل هذه الشعارات على المستوى الفلسفي "أي المعني الصحيح للمفهوم، من خلال كل التصورات الفردية"، ظهرت لدى الأنثى أشكال من الممارسات، جعلتها تبدو بموقف المعارض لقيم الجماعة من أجل إبراز ذاتها ووجودها.

هذه الممارسات جعلتها تفقد المكانة الاجتماعية التي تطالبها بها الجماعة العامة كي تبرز انتماؤها لها، ومعارضتها لها تجعلها مهمشة وبالتالي تنعتها بصفات تحقيرية تقصيها من الجماعة وتدخلها عالم "الانحراف" خاصة في المجتمعات العربية التي تشدد الرقابة على المرأة كونها "أنثى".

1- المعهد العربي لحقوق الإنسان، **المرأة العربية. الوضع القانوني والاجتماعي**، دراسات ميدانية في ثمانية دول عربية مع دراسة تأليفية، تونس 1996، ص317.

يطرح اليوم وضع المرأة في المجتمعات العربية وفي المجتمع الجزائري منه، كوضع متغير ومتحول، فيما تبدو صفات وشروط "الحداثة" الغربية، تتفاعل صداميا أحيانا وتصالحيا أحيانا أخرى مع القيم الاجتماعية المحلية.

– فإلى أي مدى يمكن اعتبار "وضع" و"دور" و"منزلة" المرأة في بحثها عن "المعاصرة و"الحداثة" المتمثلة في "الحرية والتعليم والمساواة"؟، وما مدى ارتباطها بمنزلتها التقليدية في مصالحة مع المعاصرة؟!

– وإلى أي مدى تعتبر هذه الممارسات وهذه التمثلات عناوين لهذا التحول أو ذلك؟

– وإلى أي مدى يمكن اعتبار معيارية "الانحراف" الأنثوي، عنوانا لهذه الازدواجية الثقافية المركبة المتمثلة في رؤية الذكر للأنثى من جهة، ورؤية الأنثى لنفسها ومن طرف بني جنسها التي هي نظرة "الأنثى للأنثى"؟.

وعلى هذا الأساس كان علينا تناول مسألة "الانحراف" من خلال بعض المفاهيم الإجرائية لخصوصية "المحلي" لمسألة "الانحراف الاجتماعي".

هكذا حاولنا إعطاء عدة تفاسير لمفهوم "الانحراف"، من بينها؛ التفسير السوسيولوجي الذي يعتبر أن "الانحراف" خروجا عن عادات وقيم مجتمع ما، ذلك أن "المنحرف" لا يستطيع أن ينسجم مع مجتمعه لأسباب عدة، فينحرف عنه كونه لا يستطيع أن يؤثر في وسطه الاجتماعي والثقافي، وأيضا في قيم هذا المجتمع.

"وإذا لم يمكنه هضم هذا الرصيد الاجتماعي باعتباره لا يملك قابلية لذلك الانسجام في المجتمع (La socialisation) يتطلب منه تعاقد مع المجتمع

وهذا لا يتم إلا بإبرام عقود (Les contrats) تكون مقبولة من الطرفين، و لا حدود لها زمنيا، وعندما لا تحترم هذه العقود من طرف الفرد، يكون "الانحراف" [1]".

فمـــن خلال ما سبق ذكره، تبدو وضعية المرأة "هشة" (Fragile)، لاسيما في مجتمعاتنا العربية، بما في ذلك المجتمع الجزائري. هذا المجتمع الواقع بين فك "الحداثة" –"العصرنة" العلوي، وفك "التقليدية " – "التأصيلي" السفلي.

بناء على هذه الحالة اخترنا هذا الموضوع لارتباطه بشكل مباشر بتخصصنا –الهوية والتحول الاجتماعي– إضافة إلى أن الموضوع هو من أهم المواضيع الحالية و"الملحة" في مجال الأبحاث السوسيولوجية والأنتروبولوجية المعاصرة.

(هذا الرأي ليس تثمينا لقيمة البحث وإنما كون الواقع مرهون به كظاهرة اكتسحت حتى الأنساق الصغرى وهو حساس لارتباطه بواقع المجتمع التقليدي كالمجتمع الجزائري الذي يفرض نوعا من القواعد على المرأة خاصة الفتاة قبل سن الزواج وما يجب عليها إتباعه).

وهو –أي البحث– بطريقة مباشرة جزء من بحث تقدمنا به في مذكرة الماجستير حول "إشكالية الشرف في المجتمع الجزائري"، انطلاقا من قراءة كتاب "مالك شبال" بعنوان "المخيال العربي الإسلامي" الذي ربط الشرف بأربع عناصر(الرجولة، الإخصاب، العذرية، الجسد).

1- مكي التهامي، **الانحراف وتعاطي المخدرات**، ندوة انحراف الأحداث، منشورات جمعية رباط الفتح،1987، ص38.

ضمن هذا الإطار كنا حاولنا مبدئيا، البحث عن علاقة العذرية والجسد بالشرف من منطلق التمثلات لدى الطالبة الجامعية الداخلية، فوجدنا أنفسنا ملزمين حسب المعطيات الميدانية الأولية ربط هذا البحث بحدود الممارسات الجنسية عند الفتاة حيث طرح هذا العمل كمشروع لمذكرة الماجستير.

ومن هنا استمر انشغالنا مما دفعنا إلى الاشتغال على الأسباب الحقيقية التي تدفع الفتاة الجامعية الداخلية لممارسة السلوكات المعارضة للقيم العرفية التقليدية؟ منطلقين من السؤال التالي :

- ما هي أسباب ودوافع "الانحراف" لدى الطالبة الجامعية الداخلية؟.

2- الفرضيات:

ولكي نبحث في الإشكالية، كان علينا أن نبحث عن إجابات مؤقتة لمجموعة من الأسئلة الافتراضية، فقد تختلف فرضيات وأسباب ذلك في تفسير وفهم الظواهر الاجتماعية إلا أن الواقع فيها يكون من خلال مجموع التصورات التي تتكون لدى الباحث بطريقة افتراضية لتحليل الظاهرة المدروسة. وعلى هذا الأساس جاء افتراضنا مبنيا على "الدوافع" المتمثلة فيما يلي:

-**<u>الدافع الاقتصادي</u>:** فقد يكون المستوى المعيشي المتدني، وعدم التزام الأسرة بدفع تكاليف الفتاة في مجتمع متفتح على الاستهلاك والاقتصاد الحر وراء ذلك. ذلك أن المغريات وبداية التفاوت الاقتصادي بين الناس وبروز حاجيات جديدة كالاستهلاك في مجتمع ينحو سلوكه الاستهلاكي نحو 'الإشباع"

و"التهافت" وحب التميز والمباهاة وقد يكون ذلك سببا رئيسيا في دفع الطالبة إلى البحث عن طريقة لكسب المال، وبأي ثمن ؟!.

-**الدافع الاجتماعي**: يمكن للظروف الاجتماعية والأسرية المشحونة بالتوترات وغياب الأهل ورفع الرقابة الذكورية في مجتمع متحول ومضطرب ومأزوم، أن تكون دافعا رئيسيا ثانيا للفتاة لكي تمارس حياتها الخاصة المستقلة بعيدة عن الرقابة.

- **الدافع النفسي**:قد يكون الدافع النفسي المرتبط بشكل أو بآخر بالدافع الاجتماعي سببا ثانويا في ذلك. فما يظهر بأسلوب تعبيري في سلوكات الفتيات هو في الواقع اجتماعي تؤثر فيه ظروف التنشئة الاجتماعية.

يضاف هذا إلى العوامل البيولوجية الداخلية المتأصلة من موروثات جينية للتركيبة الإنسانية والتي تظهر في طبع الفرد منذ الصغر، حيث يمكن التنبؤ أحيانا وليس دائما بسلوكات الفرد مستقبلا، إذ تتدخل الأسرة في تثبيت بعض الطبائع في الأفراد، كالأسرة التي لا تعير اهتماما للضوابط الأخلاقية داخل النسق. فهي ترسخ لدى الطفل الشعور بالحرية التامة التي تنعكس على سلوكه الانحرافي في الكبر.

فوجود مثل هذه الأحوال قد يساعد الفتاة خاصة مع وجود جماعة رفاق من نوع خاص، مكانا آمنا لتفريغ المكبوتات الداخلية إما لأجل الانتقام من الوضع، أو من أجل الانغماس في عالم جديد، الهدف من ورائه إما النسيان (L'oublie) أو الهروب (refuge) أو محاولة إثبات الذات ؟.

هذا العالم الجديد وجماعة الرفاق هذه المستثنيات من المجتمع بتصرفاتهن المناقضة لتركيبة المجتمع التقليدي هي ملجأ لفتيات أثرت عليهن

الظروف الاجتماعية نفسيا، قد تولد لديهن نزعة تمردية لا تتحقق إلا في عالم المتناقضات والتناقضات (المتناقضات مع الأعراف والتناقضات مع الذات) هذا ما سنحاول على البحث فيه.

3- دوافع اختيار الموضوع

دافعان رئيسيان اثنان كانا وراء محاولتنا إنجاز هذا البحث واختيار هده الإشكالية بالذات:

- **الدافع العملي:** تمثل في ارتباط موضوع البحث بطريقة مباشرة بمجال اهتمامنا الذي هو "الهوية والتحولات الاجتماعية"، إضافة إلى ارتباط موضوع "انحراف" الفتاة بالموضوع الذي عالجناه في مذكرة الماجستير الذي تناول "إشكالية الشرف في المجتمع الجزائري" مما يجعل هذا العمل امتدادا للعمل الأول وبشكل مشروع بحث مستمر في مسألة الفتاة الأنثى والتمثلات والسلوكات.

- **الدافع العلمي:** مثله نوع من الفضول من أجل البحث في أسباب ظواهر اجتماعية كالتحولات الاجتماعية، الاقتصادية المفروضة ضمن سياق "التحديث" وما ينجر عنه من سلوكات وممارسات قد تتعارض مع ثقافة ومعايير المجتمع المحلي.

4- الهدف من الدراسة

هدفنا من الدراسة كان محاولة منا فهم "الطالبة الجامعية" وهي تمر بمرحلة حساسة من عمرها –مرحلة المراهقة–. يتم هذا ضمن وجودها داخل فضاء جديد لم تعهده من قبل مشحون بالمتناقضات تكون فيه "الطالبة" فريسة سهلة لغيرها.

كما أن هذا الفضاء الجديد المديني المفتوح يجعلها تنساق وراء أهوائها وأهواء غيرها، مما قد ينحو بها نحو "الانحراف".

هذا "السلوك المنحرف" الذي سيعتبر وصمة عار على جبينها يرسمه لها المجتمع المحلي ويوسمه بها.

هذا العار جعل من "الفتاة" عرضة للتهميش وبالتالي الخضوع لحتمية الضياع والتفكك والذي ينبأ بالكثير من الاختلالات الاجتماعية خاصة عندما تكون من بين آليات التدمير في المجتمع "المرأة" على اعتبارها أساس الأخلاق في مختلف الحضارات و الأزمنة.

5- مجال الدراسة

تم اختيار الحي الجامعي 19 ماي 1956 بوهران مجالا للدراسة باعتباره:

- كان مجالا لدراسة ميدانية قمنا بها في إطار تحضير مذكرة الماجستير، باعتبارنا كنا نقيم فيه سنوات التدرج (2001_2004).

- كانت لنا علاقات صداقة مع بعض المسئولات في الإدارة، فكان لهن الفضل في مساعدتنا، حيث توسطن لنا مع عينة الدراسة وسهلن لنا الكثير من المسائل خلال النزلات الميدانية.

6- منهج الدراسة

لأن المقاربة تنحو أكثر نحو الدراسة الأنثروبولوجية، كان علميا أن نختار المنهج الانثروبولوجي وذلك باستعمال تقنيات الملاحظة المباشرة والاستمارة بشكل خاص، إضافة إلى الاعتماد على المخبر المفضل (l'informateur privilegie) من أجل الوصول إلى الفرد المصدر(la personne source). إذ يكفي أن يتوفر مؤشر واحد من مؤشرات "الانحراف" المعمول بها في الدراسة.

اعتمادنا على المنهج الانثروبولوجي جاء مرتبطا بطبيعة الموضوع المدروس، كون الدراسة تمس الجانب البنيوي الوظيفي للمجتمع التقليدي المرتبط بالثقافة الدينية، وما يلازمها من أعراف وتقاليد وما ارتبط بالجانب التأسيسي للقيم الأخلاقية فيه.

7- تحديد عينة البحث

الحي الجامعي فضاء اجتماعي ثقافي يشكل خليط طلابي متشكل هو الآخر من مختلف المكونات الاجتماعية، يضم طالبات قادمات من مناطق مختلفة. تتنوع فيه الثقافات والتوجهات، والقيم والسلوكات، وحتى المعتقدات وهذا إلى جانب وجود طالبات قادمات من خارج الوطن.

هذا الخليط غير المتجانس يُحدِث نوعا من التأثير والتأثر، وهذا ما يعرف في الطرح السوسيولوجي بالتفاعل الاجتماعي (L'interaction social) حسب (gauffman).

والذي يصدر من الفاعل الاجتماعي المعبر بالدرجة الأولى عل مبدأ الازدواجية والتعدد في العلاقات الاجتماعية التي ينبني على أساسها الفعل الاجتماعي (l'action social) في طابعه التعبيري وهذا حسب ماكس فيبر.

هذا التفاعل ينتج لنا أشكالا وأنماطا لسلوكات اجتماعية مختلفة، إذ نجد طالبات يستجبن في سلوكاتهن لما يتوافق ومنطق الجماعة العرفية، فيعتبرن "سويات" رغم الحرية الممنوحة لهن.

في مقابل ذلك، نجد طالبات بسلوكاتهن المرفوضة من الجماعة التقليدية اعتبرن "منحرفات" وذلك وفق القيم المعيارية المحلية. فللانحراف أشكال (يتبع تفصيله لاحقا).

وقد تم اختيار عينة المجتمع المدروس عن طريق القصد أي الاعتماد على فئة الطالبات "المنحرفات" –موضوع الدراسة– حيث وجدنا صنفين من المنحرفات وهن:

– هناك فئة تمارس ما هو "ممنوع" وما هو "غير مسموح به" وفق قانون وعرف الجماعة، إلا أنها تتستر في ممارساتها وتمتنع عن الجهر به، تساعدها في هذه الممارسات جماعة الرفاق وبالتالي تجد نفسها منافسة، تابعة لجماعة الرفاق.

– في المقابل؛ هناك فئة لا تعير اهتماما للضوابط الاجتماعية فهن يمارسن سلوكاتهن "المنحرفة" بكل عفوية وتحد كبيرين. هذه الفئة سمحت لنا بالاقتراب منها مع بعض الصعوبات (كالتحرج، والخوف أحيانا).

كما سمحت لنا بملء الاستمارة، وإجراء المقابلات معها أيضا بطريقة مباشرة، حيث تم اختيار 100 حالة باستعمال تقنية الاستمارة، و 10 حالات باستعمال تقنية المقابلة نصف الموجهة **semi-directif.**

فتم اختيار عينة المجتمع بطريقة العينة المقصودة مع طالبات قد يعتبرن منحرفات من باب العرف وثقافة المجتمع المحلي في عمومه. إذ يكفي توفر مؤشر واحد فقط من مؤشرات الانحراف (كالتدخين، أو معاقرة الخمرة، أو توقيف السيارات...).

هذا التصنيف لا يمثل وجهة نظرنا بالضبط بل وجهة نظر عموم المجتمع المحلي التقليدي الأصل النازح نحو العصرنة لكن بمعطف التقليد الذي أشرنا إليه في مطل البحث وضمن إشكالية الدراسة.

8- تقنيات البحث

لأجل الوصول إلى إجابات عن الإشكالية العامة والفرضيات المطروحة اخترنا تقنية الاستمارة على اعتبار أن عينة البحث عينة متعلمة وأن الأسئلة "حساسة" تتطلب إجابات عن طريق الانفراد.

فقد عمدنا بعد تحديد أسئلة الاستمارة وتوزيعها على 100 حالة بالتعاون مع المخبر المفضل (l'informateur privilege) ، وبعد أن انتهينا من عملية التفريغ أدركنا بعض النقائص في الأسئلة.

كالسؤال المتعلق بالتدخين بالنسبة للمبحوثات (المنحرفات غير المدخنات)، أي أسباب الامتناع عن التدخين، ولو طرح السؤال فرضا لكانت الخيارات على النحول التالي :

- الأسباب الصحية،
- القناعات الشخصية،
- ليس لك ميل اتجاه التدخين

- بالنسبة للاختيار الأول: هل هناك من تحاول التدخين؟ فنجد السبب الوحيد هو السبب الصحي ممثلا أساسا في الإجابة المتعلقة بالأمراض التنفسية الربو مثلا.

-الاختيار الثاني: هل ترى الفتاة من بعض الممارسات كالسهرات الليلية أمورا عادية بينما ترى التدخين والمخدرات أمران لا يليقان بها وبمكانتها مثلا؟ !.

وبالتالي وجدنا أن الموضوع يلامس علم النفس الاجتماعي الذي يركز فيه الباحث على الجانب النفسي في محاولة منه لفهم بعض التمثلات في حياة الشخص المنحرف -من خلال تحليل عنصر الشخصية- وهذا جانب آخر من الدراسة.

من خلال هذه الملاحظات، وجدنا أن الموضوع يتمفصل فيه علم النفس وعلم الاجتماع، وبحكم التخصص طبعا، حاولنا إبقاء الدراسة في طابعها السوسيولوجي.

- أما بالنسبة للاختيار الثالث؛ فكان من الأجدر بنا - لو طرح السؤال طبعا- تقريب هذا الاختيار بمفهومي "الفرد والهوية" (l'identité et

l'individu)، وتقريب المفهومين من زاوية منهجية بالطرح القائل بمبدأ "التفرد"، وإدماج ذلك في سياق الحرية الفردية والهوية الفردية من خلال مبدأ التمرد والحفاظ في ذات الوقت على بعض الثوابت التي هي من ذات الإنسان.

هذه التفسيرات كانت مستخلصة من نقاط الملاحظة التي سجلناه ميدانيا.

أعطينا هذا المثال من أجل توضيح النقائص التي أدركناها متأخرين، وهذا حال الأبحاث التي لا تخلو من نقائص وقد ركزنا في الدراسة –على اعتبار التمفصل بين الميدانين والذي سبق وأن أشرنا إليه– على التأويل الاجتماعي "للانحراف" مفهوما وممارسة دون التأويل النفسي والبيولوجي، فقط من أجل الضبط المنهجي وحصر الموضوع.

ويظهر ذلك جليا من خلال عنوان الرسالة "أسباب الانحراف لدى الطالبة الجامعية الداخلية –الإقامة الجامعية 19 ماي 1956 بمدينة وهران نموذجا–". دون أن يعني ذلك أن العامل النفسي "مغيب" عمدا أو تجاهلا أو نفيا.

ذلك أننا ندرك أن الإنسان كل متكامل وكل العناصر تلعب دورها في هذا السلوك أو ذاك، غير أن الرغبة في الحصر والانضباط المنهجي، يجعلنا نركز أكثر على الجانب السوسيولوجي.

– المقابلة (Entretien)

من خلال النزلات الميدانية التي سبقت النزول الفعلي إلى الميدان، ومن خلال أسئلة الاستمارة وجدنا أنه من الضروري الاعتماد على تقنية المقابلة،

ذلك لأن العمل أو البحث يركز جله على الجانب التمثلاتي، كما هو واضح من أسئلة الاستمارة.

فمعظم الأسئلة صيغت على النحو التالي (ما هو رأيك؟!، بكم تقدرين؟!، كيف تعبرين؟ !..)، وما عزز استعمالنا لتقنية المقابلة هو اطلاعنا فيما بعد على مقال عنوانه: "مقاربة نفسية للرباط الوجداني بين الأبوين والبنات والبنين، في رحاب الأسرة، إسهام سلوك الآباء في نحت طباع الأبناء، دراسة عينة مستمدة من التراث خاصة المحور المتعلق بالتنشئة الاجتماعية وعلاقة الرباط الوجداني بين الآباء والأبناء"[1].

حيث اعتمدنا على تقنية المقابلة نصف الموجهة (semi directif) تم قمنا بإجراء 10 مقابلات وتم ذلك بشق الأنفس وبعد أخذ ورد مع المبحوثات نظرا لتحرجهن، باعتبارهن كن يجهلن شخص الباحث –كوننا لسنا من نزلاء الحي الجامعي– .

وتمت المقابلة باشتراط عدم التسجيل، حيث انصب اهتمامنا في طرح خمسة إلى ستة أسئلة في كل محور مع التركيز على الجانب التمثلاتي في رؤية المبحوثات لممارساتهن السلوكية.

طريقتنا في طرح السؤال كانت على النحو التالي: بعد تعريف المبحوثات بالموضوع والهدف من الدراسة حاولنا التقرب منهن والتودد إليهن بأساليب مختلفة كالحديث في مواضيع مختلفة وعرض عليهن المساعدة في حالة ما إذا احتجن إليها وما إلى غير ذلك من أساليب كسْبِ الثقة، بداية

1)المجلة الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة علم النفس، تونس، عدد 1995/09.

بطرح السؤال الأول من المحور الأول نترك المبحوثة تسترسل في الكلام ونقوم نحن بتسجيل ما يمكن تسجيله كتابيا.

وفي حالة خروج المبحوثة عن الموضوع نحاول استدراجها بإعادة طرح السؤال بطريقة أخرى، أو بإعادتها إلى نقطة تطرقت إليها ولم تفصل فيها، وهذا ما يعرف بأسلوب الدفع أو إعادة الإقلاع (les relances) وأحيانا أخرى يستلزم الأمر طرح أسئلة مباشرة.

- كيف هي علاقتك بالوالدين؟
- كيف هي علاقتك بالإخوة؟
- ما طبيعة علاقتك بالأهل؟

وبنفس الأسلوب تم الأمر مع بقية المحاور.

- **الملاحظة المباشرة دون المشاركة (Observation direct non participante)**:اعتمدنا على الملاحظة دون المشاركة، وذلك بتسجيل أهم الملاحظات الهامة والتي لها اتصال مباشر بالبحث خلال كل الخرجات الميدانية بنزلات متعددة ومتكررة على المجال المدروس، بالمجالسة والمحادثة دون الممارسة.

مسألة الجمع بين الأسلوبين الكمي والكيفي حتمية ألزمتها علينا طبيعة الموضوع، الذي ارتأينا من خلاله استعمال الأسلوب الكمي عند تفسيرنا لمؤشر ودرجة ارتباطه بالموضوع من جهة، واستعمال الأسلوب الكيفي لوصف الظاهرة من حيث الموقف والرأي وتمثل العينة المدروسة للظاهرة المدروسة.

"فقد تنبه الباحثون إلى ضرورة الاستعانة بالأسلوب الكيفي إلى جانب الأسلوب الكمي، ذلك لأنه يشمل زيادة لتوضيح الرؤية وتعميق النظرة الشمولية الأمر الذي يساعد على دقة التحليل وضبط التفسير"[1].

9- زمن الدراسة

بدأت الدراسة في مرحلتها الأولى خلال الموسم الجامعي 2004-2005 باستمارة أولية تصورية؛ ثم بعد حصولنا على نتائج الدراسة الأولية بدت لنا بعض النقائص، حاولنا استدراكها في الشكل الثاني لأسئلة الاستمارة، حيث تم توزيعها خلال السنة الجامعية اللاحقة أي 2005-2006.

وعلى أساس النموذج الثاني المنقح والمعدل للاستمارة، صغنا أسئلة استمارة نهائية مع تجاوز النقائص وبعض التعديلات، وتمت خلال الموسم الجامعي (2007-2008)، وخلال نفس السنة تم إجراء المقابلات مع المبحوثات.

بالنسبة للمؤشرات المركز عليها في هذه الدراسة هي حول علاقة الانحراف:

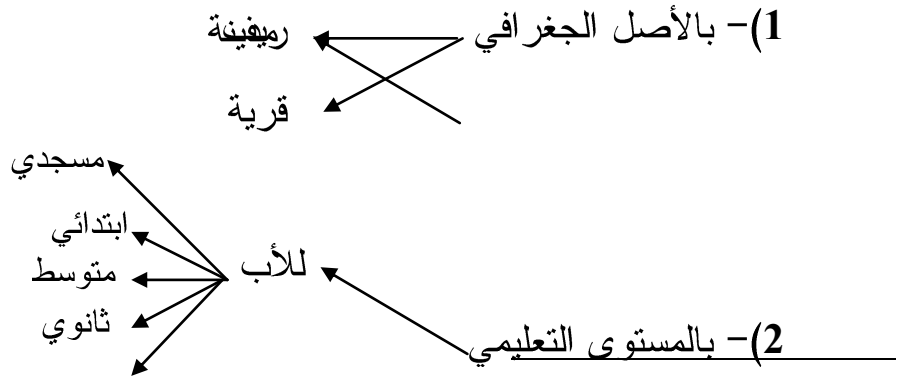

1 -http://www.alimam_master.com/archive/index.php/t-15.htmL, le 25/05/2009.

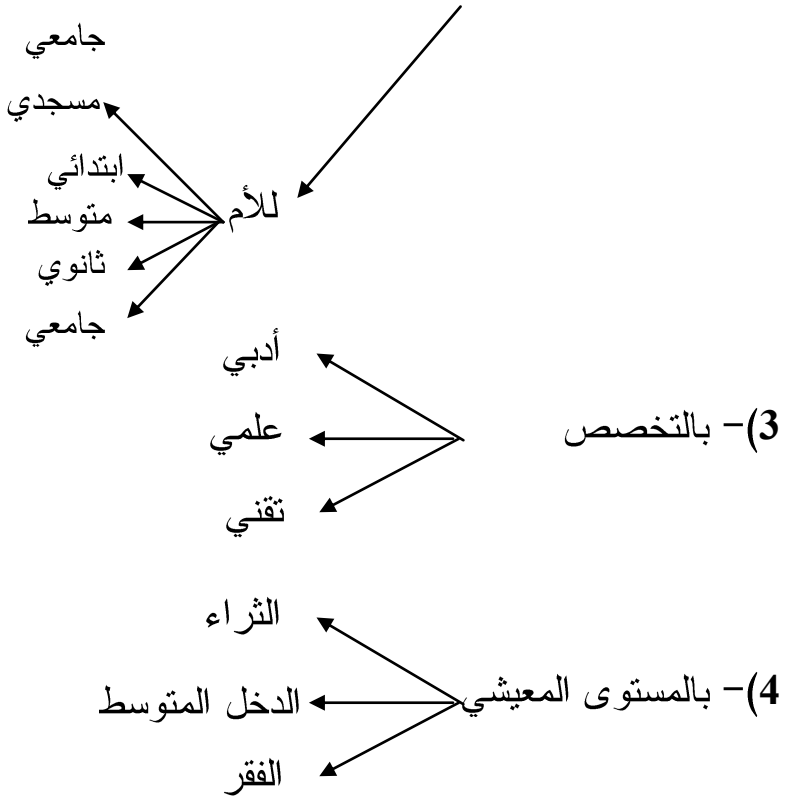

هذه المؤشرات كانت بصفة ضمنية تعبر عن أهم الأسباب الحقيقية الموجهة للسلوك الانحرافي.

بالنسبة للمستوى المعيشي، لم يكن سؤالنا واضحا في أسئلة الاستمارة، إنما جاءت الأسئلة على النحو التالي:

- مهنة الأب. - مهنة الأم. - ودخل كل واحد منهما.

10- دراسات سابقة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع "الانحراف" والجنوح في المجتمعات الغربية والعربية على السواء منها: دراسة لوهين، بلاكي،

مور، ألبار أوجيون، الأسمري، آمال فهمي، عبد الكريم علي مانع، نذكر من بينهم:

- **بيكر هوارد Becker Haourd**، في كتابه "Outsiders"، وهو مترجم بعنوان "الغرباء" أو "الخارجون"[1]

تطرق من خلال هذا البحث "هوارد بيكر" إلى موضوع "الانحراف"، على اعتبار أن "الانحراف" يعني اختراق المعايير والقيم المسلم بصحتها من قبل الجماعات.

لقد شكل هذا البحث لبيكر، مرحلة مهمة للتطور الحديث لعلم اجتماع "الانحراف" بما أنه قد وسع روابط الدراسات حول جنوح الأحداث[2]. حيث تمثل السؤال الجوهري عند بيكر كالتالي:

كيف توصلت المجموعات الاجتماعية أو المجتمع في خلق "الانحراف"؟. حيث ركزت الدراسات حول "الانحراف" –حتى بداية الستينات– بشكل خاص على الوسط الاجتماعي للمنحرف وشخصيته[3].

مراحل البحث عند "بيكر" حول "الانحراف" مميزة تتمثل فيما يلي:

إنه يحدد منذ الصفحات الأولى المعنى أو المعنى المزدوج لمصطلح "الغرباء" "Outsiders" فهذا المصطلح يحدد للمؤلف الأوضاع التي يخترق فيها المعيار، والتي يتم تطابقه فيها[4].

1- بيكر هوارد ، في كتابه"**Outsiders**" دار نشرA.M .Metailé، الطبعة الأولى سنة 1985.

2-ts29.Free.Fr/…/Fiche%20 lecture%20 outsiders %20 (H.%20Becker).doc. le 24/04/2009.

3- نفس الموقع.

4- نفس الموقع.

النموذج الذي استعمله "بيكر" في التحليل، قد سمح له بتحديد المراحل المختلفة لمهنة "المنحرف"، ومن هنا تحديد المسار الذي يتحول فيه الفرد إلى "منحرف"، ويتمثل هذا المسار فيما يلي:

- تتشكل المرحلة الأولى لمهنة المنحرفة في أغلب الأحيان من خلال ارتكاب خرق ما، حيث يكون هذا الخرق موضوع وسم "نعت" من قبل الأقارب أولا، ثم من قبل هيئات الرقابة الاجتماعية.

- يمنع هذا النعت الذي اخترق المعيار، من مواصلة التفاعل ضمن الإطار الشرعي، ويعيقه شيئا فشيئا عن تقدير حاله كمنحرف عن طريق تبيان صورته من قبل المجتمع.

- يدفع هذا النعت الفاضح الفرد إلى ارتكاب المزيد من الاختراقات والتجاوزات الجديدة، والتعرف على متجاوزين ومخترقين آخرين مدعومين بشكل أكبر حتى يتمكن من الإلمام بوضعه الجديد[1].

من أجل إنجاز هذه الدراسة اعتمد "بيكر" على 50 مقابلة مع منحرفين كما عمد "هوارد بيكر" طيلة بحثه للتأكيد على أن "الانحراف" هو نتيجة لردود أفعال وسلوكات الغير، وباختصار فإن المجتمع يخلق "الانحراف" من خلال رد فعله تجاه الخروقات والمخالفات، ومن خلال إنشاء معايير، والتي يؤدي عدم احترامها إلى "الانحراف"، كما أنه، ومنذ صدور "outsiders" استمر في التأكيد على فهم ظاهرة الانحراف يفرض الدراسة الدقيقة للمتهمين "Accusés" والمتهمين "Accusateurs" على حد سواء[2].

1- نفس الموقع.

2- نفس الموقع.

- **لامية بوبيدي**: "انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري"

- دراسة ميدانية بالمركزين المختصين لإعادة التربية لولايتي "قالمة" و"الوادي" - رسالة دكتوراه علوم، علم الاجتماع التنظيم والعمل لسنة 2008-2009. حيث تطرقت إلى دراسة الموضوع بطرح الإشكال التالي:

ما هو تواتر ظاهرة "انحراف" الأحداث في المجتمع الجزائري؟

حيث بينت دراستها وفق الفرضيات التالية:

- حققت الأسرة الجزائرية للعديد من التغيرات فأدى ذلك إلى دخول الأحداث عالم "الانحراف".

- إن الظروف الاقتصادية التي يعيشها المجتمع الجزائري قد دفعت ببعض الأحداث إلى "الانحراف".

- إن النظرة الاحتقارية التي يلقاها الأحداث المنحرفون من المجتمع، قد تساهم في أن تجعل البعض منهم مجرمين حيث قسم البحث إلى ثمانية فصول، ستة فصول أدرجت ضمن القسم النظري وفصلين ضمن القسم الميداني نوردها على النحو التالي:

- الفصل الأول: الإطار المفاهيمي؛ طرحت فيه الباحثة الإشكال والفرضيات، كما أشارت إلى دوافع الدراسة، والهدف والأهمية من ذلك، بالإضافة إلى مختلف المفاهيم المتعلقة بالموضوع.

- الفصل الثاني: الانحراف، التصنيفات، المظاهر، أشارت فيه الباحثة إلى أهم التعاريف القانونية، والسيكوسوسيولوجية للانحراف مع إبراز أهم التصنيفات وأنماط وأعراض ومظاهر "الانحراف" مع التطرق إلى خصائص الأحداث الجانحين.

- الفصل الثالث: مولدات "انحراف" الأحداث: شمل هذا الفصل مختلف المولدات الاجتماعية لظاهرة "انحراف" الأحداث (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق) إضافة إلى العوامل الإعلامية والاتصالية.

- الفصل الرابع: النظريات المفسرة لانحراف الأحداث: أبرزت فيه الباحثة أهم النظريات التي عالجت ظاهرة "الانحراف" والتي اشتملت على التفسير الفردي (البيولوجي، النفسي)، والتفسير الاجتماعي الذي تضمن النظرية الجغرافية، والإيكولوجية، فنظرية الثقافة الجانحة، ثم النظرية التكاملية للانحراف.

- الفصل الخامس: المجتمع الجزائري في ظل التغيرات، تطرقت فيه الباحثة إلى مختلف التغيرات التربوية، الاقتصادية، الاجتماعية... بالإضافة إلى واقع "الانحراف" في الجزائر، كما اشتمل أيضا على الوقاية من الجنوح وسبل التكفل بفئة الجانحين.

- الفصل السادس: تطرقت فيه الباحثة إلى أهم الدراسات العربية والغربية لظاهرة "الانحراف".

- الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة، تطرقت فيه الباحثة إلى التوضيح المنهجي لخطوات الدراسة من أدوات جمع للبيانات وتوضيح مجال الدراسة المكاني والزماني والبشري..

- الفصل الثامن: عرض البيانات ومناقشة نتائج الدراسة: احتوى هذا الفصل على مختلف البيانات والمعطيات المستقاة من الميدان، ومناقشتها إضافة إلى اختبار فرضيات الدراسة، مع توضيح الاقتراحات والتوصيات.

- **معن خليل العمر**: "علم اجتماع الانحراف"

قدم فيه شرحا معمقا لمعنى "الانحراف" والمؤثرات فيه. قسم الكتاب إلى فصلين:

- الفصل الأول: أشار فيه إلى تعاريف متعلقة بالانحراف وأشار إلى تحديدات معنى السلوك الانحرافي، و"الانحراف" الاجتماعي، والمحكات الاجتماعية للانحراف، وعلم اجتماع "الانحراف"، كما أشار إلى أنواع "الانحراف"، وأسبابه، كالتفكيك وتأثير جماعية الأصدقاء،

وقد عرج أيضا على الوظائف الاجتماعية للانحراف، وأعطى نماذج عن "الانحراف" الاجتماعي: كالانحراف، الإيذاء، النفسي، "الانحراف الجنسي"، الإدمان على المخدرات والكحول وأخيرا الانحرافات الاجتماعية في ظل العولمة.

- الفصل الثاني: عنونه جنوح الأحداث، أشار فيه إلى جنوح الأحداث ودوافع ذلك، ومشكلاته كما أشار إلى دور الأسرة في جنوح أبنائها أعطى أيضا بعض النظريات المتصلة، بالفعل الجانح كنظرية العصابة لفردريك تراشير، ونظرية الثقافة الفرعية للمراهقين والبناء الاقتصادي الرأسمالي ونظرية كابلن هاورد.

-**علي بوعناقة**: "الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب" – دراسة ميدانية مقارنة عن ديوان المطبوعات الجامعية – 1987.

تطرق من خلالها الباحث وبنوع من التفصيل إلى الأسباب السكانية أو الجغرافية (كالحي مثلا) الدافعة لتشكل مجموعات شبا نية منحرفة، حيث تناول الموضوع من الزوايا التالية:

- الفصل الأول: تطرق فيه إلى:

1. الأبعاد المجتمعية للمشكلة وأشار فيه إلى دور الهجرة من الريف إلى المدينة كعامل أساسي من عوامل الانحراف.
2. أسس المشكلة النفسية–الاجتماعية
3. الانحراف وقياس علاقته بالسكن

- الفصل الثاني: أشار فيه إلى الدراسات السابقة الرائدة في مجال دراسة الانحراف وعلاقته بالأبعاد الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية.

- دراسات جزائرية
- عربية
- أوربية حديثة.

- الفصل الثالث: أشار فيه إلى الجانب المنهجي في الدراسة

- طريقة التعيين، العينة، طريقة جمع البيانات، الفرضيات، المتغيرات الرئيسية للمشكلة، تقنية تفريغ البيانات وتحليلها

- الفصل الرابع: الخلفية الاجتماعية والثقافية لعينتي البحث

- العمر، المولد، المستوى التعليمي، متابعة الدراسة، المهارات، الوضع العائلي، السكن الأصلي، هجرة الأسرة إلى المدينة.كما أن الفصل الرابع قسم إلى أقسام:

- القسم الأول: علاقة الشاب ببيته

– القسم الثاني: المشاكل النفسية– الاجتماعية لأفراد العينة، التعاون مع الشاب لحل مشكلاته، المشاجرات في البيت.

– القسم الثالث: النشاط الاقتصادي للشباب، تناول الخمر، بعض مؤشرات الانحراف، النشاط الرياضي، وقت الفراغ، نظرة المبحوث إلى ذاته، مسألة العودة إلى الريف

– الفصل الخامس: عرض لنتائج البحث مع التوضيحات والاقتراحات[1].

-**فتيحة كركوش**: "ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر"[2]

تطرقت إلى الموضوع من زوايا مختلفة حيث ناقشت الفصول على النحو التالي:

-الفصل الأول: في ماهية الانحراف

تطرقت من خلاله الباحثة إلى مفهوم الحداثة ، مفهوم "الانحراف" من زوايا مختلفة، التمييز بين "الانحراف" والجنوح، ثم تصنيفات "الانحراف".

– الفصل الثاني: عوامل "الانحراف"

أشارت فيه الباحثة إلى العوامل المساعدة في "الانحراف" (العوامل الاقتصادية، العوامل الثقافية، العوامل الاجتماعية، العوامل الفردية).

– الفصل الثالث: تناولت فيه الباحثة نظريات "الانحراف"

– الفصل الرابع: ظاهرة الانحراف في الجزائر

1– علي بوعناقة، ***الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية– الاجتماعية على الشباب***، دراسة ميدانية مقارنة عن ديوان المطبوعات الجامعية، 1987، ص 38، 39.

2– فتيحة كركوش، **ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2011.

في هذا الفصل تطرقت الباحثة إلى، واقع "الانحراف" في العالم، واقع الانحراف في الجزائر، وضع الحدث المنحرف في التشريع الجزائري.

- الفصل الخامس: الوقاية و العلاج من عامل "الانحراف"

تطرقت من خلاله الباحثة بشكل مباشر إلى علاج الأحداث الجانحين

11- تحديد المفاهيم

- المراهقة

"تعرف المراهقة على أنها عملية تحول وانتقال الطفل من نمط علائقي يتميز بتبعية شبه كاملة للأسرة وانحصار علاقاته إلى حد كبير ضمن نطاقها أو تحت رقابتها ومسؤوليتها المباشرة، إلى نمط مختلف يتميز بتوسع نطاق العلاقات والمرجعيات وبتخفيف متدرج لعلاقة التبعية في مرحلة انتقالية نحو الاستقلال عنها في مرحلة الرشد"[1].

والمراهقة هي من أخطر المراحل العمرية التي تميز حياة الفرد، والتي تعبر عن كونها مرحلة مرورية يمر بها الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، وفيها تتفجر كل الطاقات والمكبوتات.

" كما تتميز بتوسع نطاق التربية التي يتلقاها "الطفل" بحيث تشمل الأدوار الاجتماعية والسلوكيات المرتبطة بالجنس من جهة، والأعداد للأدوار الاجتماعية والاقتصادية من جهة ثانية، وتتمحور هذه العملية التي تستغرق سنوات في جانب أساسي منها حول علاقة المراهق بأسرته"[2].

1- مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، ***"الفتاة العربية المراهقة، الواقع والآفاق"***، دار الكوثر، تونس، 2003، ص138.

2- المرجع السابق.

يحاول المراهق إثبات ذاته من خلال ممارسته لما يمليه عليه المجال الداخلي، يحاول من خلال تصرفاته وسلوكاته إثبات ذاته ومحادثة المجتمع الذي احتك به بأساليب مختلفة.

مسألة إثبات الذات للمراهق وسط مجتمعه دلالة تعبيرية عن هويته الفردية التي ستجعله يتميز عن غيره، ويثبت مكانة يعترف بها الكل.

"وتتم صيرورة بناء الهوية الفردية للمراهقة (أو المراهق) بتأثير قوي للظروف الأسرية التي تعيش فيها ونمط العلاقات في إطارها وتطورها والتفاعل بين الأسرة والمرجعيات الأخرى التي تشكل عالم المراهقة أو المراهق (جماعة الأصدقاء، المدرسة والعمل والمؤسسة الدينية والحركات السياسية والاجتماعية، ووسائل الإعلام...)، وغالبا ما تتأثر علاقة المراهقة (أو المراهق) بأسرتها بهذه المرجعيات المستجدة التأثير في حياتها"[1].

- الرقابة الأسرية

"تعد الرقابة مجموع الوسائل التي تستخدمها الأسرة لضمان التطابق بين سلوك الأبناء والبنات وبين المعايير والقيم السائدة في المجتمع والتي يرى الأهل أنهم مؤتمنون عليها وساهرون على استمرارها..، إن الدروس الأخلاقية والنصائح والترغيب تحل بعض الأحيان محل الضغط والرقابة المباشرة"[2].

- الاغتراب (Aliénation)

1- المرجع السابق.

2- المرجع السابق، ص140.

"وجد كابلان وزملائه 1984 أن الشباب الذي يفقد دوافعه أولا توجد عنده دوافع تدفعه للتماثل مع قواعد معيارية مرفوضة من قبل الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وهذا بدوره يولد عند الشاب رفضه لذاته وانكسارها، فيصبح عنده رفض متبادل يبلور عنده الشعور بأنه غريب وهو يعيش وسط جماعته ومجتمعه ويشعر أيضا بأنه مرفوض من قبل أسرته ومدرسته وأنه بالمقابل لا يتماثل مع معاييرها ومقاييسها، وكل ذلك يجعله غير قادر على إنجاز المستويات المجتمعية التي يتعامل معها، وهذا وحده كاف في خلق ميل نحو ذلك (Kaplanc, 1984, p44)"[1].

- امتثال (Conformité)

"سلوك مطابق لتوقعات الجماعة تعكس مسايرة القواعد أو المعايير الاجتماعية والتوقعات السابقة في الجماعة التي يعتبر الفرد عضوا منها"[2].

-الانبساط (Extraversion)

"الانفتاح على العالم الخارجي ويستخدم المصطلح في الوقت الحاضر لوصف سلوك الأفراد الذين يجدون مصالحهم التلقائية واهتمامهم في العالم المحيط بهم سواء كان ذلك متعلقا بالأشخاص أو الأحداث أو الطبيعة"[3].

-انحراف اجتماعي (Déviance Sociale)

"ينطبق المصطلح بمعناه الواسع على أي سلوك لا يتفق مع توقعات ومعايير السلوك المقرر داخل النسق الاجتماعي، وتميل بعض المعالجات

1- معن خليل العمر، ***علم اجتماع الانحراف***، ط1، الإصدار الأول، دار الشروق، 2009، ص 244.

2- فاروق مداس، ***قاموس مصطلحات علم الاجتماع***، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، ص35.

3- نفس المرجع . ص36

النظرية إلى الاهتمام بالسلوك الغامض أو المعوق، أو الذي يمثل مجموعة الأعراف والقواعد الاجتماعية، التي ينظر إليها بوجه عام على أنها أمور ضرورية لتحقيق التماسك وإقرار النظام داخل الجماعة الاجتماعية"[1].

-الشخصية (Personnalité)

"صيغة منظمة نسبيا لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم النمطية المميزة لشخص معين والتي يعترف بها هو والآخرين، وتعتبر الشخصية محصلة الخبرات الفردية في بيئة ثقافية معينة من خلال تفاعل اجتماعي متميز، ولهذا تحدد بناء شخصية الفرد عن طريق ملاحظة نموذج سلوكه العام وطريقة تفكيره ومشاعره"[2].

-الضبط الاجتماعي (Contrôle Social)

"يستخدم مصطلح الضبط الاجتماعي للإشارة إلى أن سلوك الفرد وأفعاله محدود بالجماعات والمجتمع المحلي وبالمجتمع الكبير الذي يعد عضوا فيه، أما الوسائل التي تحقق امتثال الأفراد لقواعد المجتمع فهي ميكانيزمات ذات طبيعة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومنسقة نسبيا على السلوك الفردي، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية في أداء الجماعة أو المجتمع لوظيفتها على نحو مستقر"[3].

-الضبط الاجتماعي الإيجابي (Contrôle social positive)

1- نفس المرجع، ص38.
2- نفس المرجع، ص146.
3- نفس المرجع، ص153-154.

"ضبط اجتماعي يعتمد على دافعية الفرد الإيجابية نحو الامتثال أو المسايرة، ويتدعم هذا النوع من الضبط عن طريق تعزيز المكافئات التي تتفاوت من المنح المادية الملموسة إلى الاستحسان والتأييد الاجتماعي، على أن صورة الضبط الاجتماعي الإيجابي الأساسية تعتمد على إدماج الفرد للمعايير الاجتماعية والقيم وتوقعات الدور من خلال عملية التنشئة الاجتماعية"[1].

-الضبط الاجتماعي السلبي (Contrôle social negative)

"ضبط اجتماعي يعتمد على العقاب والتهديد بالعقاب ويتفاوت من القوانين (السجن، الغرامة) إلى العادات الشعبية التي يتحمل من يخالفها عقوبة السخرية والاستهجان الاجتماعي أو رفض الجماعة"[2].

- الكبت (Refoullement)

1- نفس المرجع، ص 153-154.

2- نفس المرجع، 153-154.

"ميكانيزم دفاعي ينطوي على استبعاد الفرد لأفكاره المؤلمة أو غير السارة من ذاكرته أو من صور الذاتي خاصة إذا كانت هذه الأفكار متصارعة مع المعايير الاجتماعية[1].

- ميكانيزم دفاعي (Mécanisme Défensif)

"يقوم على محاولة الفرد صياغة صورة ملائمة لذاته باستعداد النقد المتوقع من الآخرين والسلوك الدفاعي ضائع في التفاعل الاجتماعي العادي وله أهمية في تحقيق تكامل الشخصية"[2].

- وسط اجتماعي (Milieu Social)

"يشير إلى بيئة الإنسان الاجتماعية ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى أن البشر يتأثرون ويؤثرون في الوقت نفسه بما يحيط بهم من مظاهر اجتماعية"[3].

- وصمة اجتماعية (Stigma sociale)

"علاقة ازدراء تلتصق بفرد معين عن طريق أفراد آخرين أو جماعية اجتماعية، ويشير المصطلح في الاستعمال الشائع إلى أي جزاء سلبي، أو تعبير عن استهجان لعدم الامتثال"[4].

"يعد مفهوم الوسم خاصا بهوارد بيكر، غير الملائم للفرد حسب حكم مجموعته الاجتماعية، بمعنى أنه بمجرد ظهوره كخارق للمعيار المشكل، سيمنحه هذا الفعل سمة "منحرف"، يقال عن الوسم (النعت) بأنه الآلية (الميكانيزم) التي من خلالها ينعت أعضاء مجموعة أو مؤسسات لجماعة

1- نفس المرجع، ص216
2- نفس المرجع، ص 264
3- نفس المرجع، ص293
4- نفس المرجع، ص293.

فردا بالمنحرف[1]، بالنسبة لهوارد بيكر، فإن "المنحرف" الذي يرفض حكم مجموعة مهيمنة والذي لا يتقبل معاييرها هو شخص غريب".

- تفاعل اجتماعي (Interaction Sociale)

"التفاعل الاجتماعي هو التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد والجماعات من خلال عملية الاتصال، والتصور البسيط للتفاعل الاجتماعي، يقصد به ما ينبع عن المجتمع من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية"[2].

- التنشئة الاجتماعية (La socialisation)

"هي تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة.. ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الثقافات، وتحاول كل ثقافة طبع أفرادها بطابعها لذلك ينشأ أفراد الثقافة الواحدة ولهم طابع مشترك يميزهم عن غيرهم من أفراد الثقافات الأخرى"[3].

"والأسرة هي الوحدة الاجتماعية في كل ثقافة، وهي المسؤولة عن إعداد الطفل لثقافته حتى يتمكن من الحياة فيها، فهي التي تنقل إليه الآراء والأفكار والمعتقدات والقيم السائدة في ثقافته... ويرى العلماء أن التنشئة الاجتماعية تستغرق السبع أو الثمان سنوات الأولى من حياة الطفل، أما عملية تربية الطفل فيما يلي ذلك من مراحل حياته فيفضلون تسميتها بعملية التثقيف enculturation أي تعليم الطفل طرق وعادات ثقافته"[4].

"ويرى Reber أنها العملية التي يصبح بها الفرد واعيا بالقيم والمهارات الاجتماعية ومكتسبا لحساسية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة

---

1 -http://libertariens.chez.com/normes.htm. le 24/04/2009

2- فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، جع سابق ، ص75.

3- كامل علوان الزبيدي، ***علم النفس الاجتماعي***، الوارق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص14.

4- نفس المرجع، ص18.

في مجتمعه، بينما يعرفها Kagan بأنها العملية التي تغرس في الطفل قيما وأنواعا من السلوك المناسب أو الملائم لمجتمعه، ويتناولها Erikson على أنها عملية تحويل الكائن البشري من حالة الطفولة أو الرضاعة، ومن حالة الضعف والأنانية إلى حالة الراشد المثالي الذي يدين بالامتثال المعقول مع وجود سمات الإبداع والاستقلال"[1].

"إن التنشئة الاجتماعية تعني امتلاك الفرد للنماذج الثقافية (modèles culturels) للمجتمع الذي يعيش فيه، بحيث يمكنه أن يبني هويته الاجتماعية (son identité sociale)، كما أنها كنتيجة مفروضة من طرف عدة عوامل اجتماعية، وهي عبارة أيضا عن تفاعل الفرد مع محيطه، وإذا كانت تدعم إعادة الإنتاج الاجتماعي (la reproduction sociale) فهي لا تقصي أبدا إمكانية التحول الاجتماعي (les possibilités du changement social)" [2].

- التعلم الاجتماعي (Apprentissage social)

"لقد ركز علماء التعلم الاجتماعي مثل باندورا وولترز (A.Bandura et Waters) على أهمية مفهومين في عملية تكوين وتعديل الاتجاهات هما: التعزيز (Rein Forcement) والتقليد والمحاكاة (Imitation)، ويعرف التعلم تبعا للمفهومين السابقين بأنه الذي يحدث عند فرد يتصف بخصائص معينة ويسمى الملاحظ نتيجة ملاحظته لفرد آخر يتصف بخصائص معينة ويسمى النموذج"[3].

1- الشربيني زكريا، ***تنشئة الطفل، وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته***، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1996، ص17-18.

2- wikipidia.org/wiki/socialisation, le 13/01/2009

3- كامل علوان زبيدي، **علم النفس الاجتماعي**، مرجع سابق ، ص123.

- القيم

"القيمة شاع استعمال مفهومها في الميادين المختلفة، وتناولته بالدراسة والتحليل المباحث والعلوم الإنسانية وفي هذا الصدد برزت أعمال لكوكهن 1959، كما يعرف دولانشير (delanshere) القيمة بأنها تنظيم المعتقدات والأفكار مرتبطة بأحكام مرجعية تجريدية أو مبادئ ناتجة عن معايير أو نماذج سلوكية، أن كل ما يمكننا تحقيقه و يعطي معنا للحياة يسمى قيمة"[1].

12- مخطط العرض:

وعلى ضوء المعطيات المستقاة قسمنا البحث إلى خمس فصول هي على النحو التالي:

الفصل الأول :عنوناه، بسوسيولوجيا "الانحراف" : من خلاله حاولنا إبراز أهم التفاسير والتحاليل المتعلقة بموضوع "الانحراف" كظاهرة لها وقع الحضور الهام في اهتمامات الدارسين في الحقول الاجتماعية خاصة علم النفس وعلم الاجتماع.

بدأنا الفصل بتعريف "الانحراف" و توضيح معناه، إلى تفسير معنى السلوك الانحرافي، والبحث في مسبباته بتوضيح أهم النظريات المفسرة لذلك، كنظرية القهر الاجتماعي، ونظرية الضبط الاجتماعي، ونظرية الإلصاق الاجتماعي.

1- مقام عبد القادر، **ثقافة السلم ، قانون استعادة الوئام المدني في الجزائر نموذجا**، مقاربة انثروبولوجية، دار الغرب للنشر و التوزيع، صفحة 65.

أنهينا الفصل بتوضيح بعض مؤشرات الانحراف بالمعطيات الميدانية (التدخين، تناول المخدرات، شرب الخمر، العلاقات العاطفية، السهرات الليلية، توقيف السيارات).

الفصل الثاني: وعنوانه، دور الجامعة في توجيه السلوك، تطرقنا في هذا الفصل إلى دور التعليم في ترسيخ القيم كآلية أساسية في المجتمعات الإنسانية.

كما ركزنا في هذا الفصل على دور الجامعة التعليمي وتطرقنا إلى عملية التنمية في القطاع، ثم أشرنا إلى موضوع الجامعة والمحيط، كما درسنا علاقة الانحراف بالتخصص.

كذلك عالجنا في هذا الفصل موضوع الحي الجامعي باعتباره مجالا للدراسة وما يعنيه كفضاء في تصور العينة المدروسة.

الفصل الثالث: عنوناه، الأسباب الاجتماعية للانحراف، ركزنا فيه خاصة على التركيبة الهرمية داخل الأسرة الجزائرية، وأشرنا إلى دور الهرمية داخل الأسرة، كالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها ومع الأقارب، وفي الأخير تطرقنا إلى موضوع الموضة والقيم العرفية.

الفصل الرابع: عنوناه، الأسباب الاقتصادية للانحراف، وركزنا فيه على موضوع التحولات الجيوسياسية وأثرها على المجتمع الجزائري، وأشرنا إلى موضوع علاقة الانحراف بالفقر، ثم عالجنا موضوع الدوافع الاقتصادية لعينة المجتمع المدروس مع التركيز على تقديرات عينة البحث للدخل الشهري للأولياء، وتقديرات عينة البحث لمصروفها الشهري، وما علاقة كل ذلك بتوجيه السلوك نحو الانحراف.

الفصل الخامس: عنوناه، الأسباب الثقافية "للانحراف"، أدرجنا ضمن هذا الفصل الأسباب الجغرافية لارتباطها الوثيق بالأسباب الثقافية. وعاجنا من خلاله موضوع الهوية والشخصية والتحول الاجتماعي.

ودور المستوى الثقافي للوالدين وعلاقته بتوجيه السلوك "الانحرافي" لدى الفتاة. كما أشرنا أيضا إلى دور الأصل الجغرافي في تعزيز السلوك الانحرافي لدى عينة المجتمع المدروس. وعلاقة الدين بالتغير الاجتماعي.

13- صعوبات البحث

كل باحث يواجه صعوبات بحثية مختلفة ومتنوعة حسب طبيعة كل موضوع، بدورنا صادفنا مجموعة من الصعوبات أهمها:

عدم تمكننا من تعداد نسبة الطالبات المنحرفات من الحي الجامعي المدروس، الذي يفوق عدد المسجلين فيه 2700 طالبة لأن عملية التعداد نفسها تستلزم إمكانيات كثيرة، فقد تعذر علينا ذلك (أي إحصاء عدد المنحرفات وتقدير ذلك بالنسبة المئوية)، ومنه فإننا نجهل ما إذا كان عدد المنحرفات في الحي يمثل النصف، أكثر أو أقل؟ وعليه عمدنا إلى تمرير 150 استمارة تم فرز 100 استمارة فقط كانت تستجيب لمعايير الدراسة، كوننا اشتغلنا على عينة مقصودة تمثل فئة المنحرفات، إذ يكفي توفر مؤشر واحد فقط من المؤشرات المعمول بها كما هو موضح في البداية.

الفصـــــل الأول

سوسيـــولوجيـــــــــا الانحراف

1. السلوك المنحرف
2. الانحراف الاجتماعي
3. انحراف أم جنوح أحداث
4. النظريات المفسرة "للسلوك الانحرافي"
5. أسباب ومنشأ الانحرافات السلوكية
6. مؤشرات الانحراف داخل المجال المدروس

تطرح قضايا المجتمعات الإنسانية من الناحية البحثية كأساس قوي في تفسير وفهم الظواهر المتنوعة والمختلفة في تحليل أبنيتها وأنساقها.

يعتبر عنصر القيم من أبرز الظواهر المشكلة للعنصر النشئوي للمجتمعات الإنسانية فهو يقر عن رمزية المجتمع من حيث الموروث الثقافي والتاريخي.

هذا العنصر كان له الدور الأساسي في إحداث صراعات بين المجموعات الإنسانية من أجل الحفاظ على الاستمرارية والبقاء، ذلك أن لعنصر القيم قاعدة جوهرية في بناء الهوية والحفاظ عليها، والهوية هنا بشقيها (الفردية والجماعية).

من هذا المنطلق يمكن تعريف القيم على أساس أنها مجموع المعتقدات والتصورات التي يعتقد فيها الفرد والجماعة والتي تنعكس على ممارساته السلوكية، كما أنها أساس بقاء واستمرار الجماعة بغاية الحفاظ على نوعية النسق المعبر عنه.

فالقيم، بمعناها المحوري، تعني الممارسات السلوكية المنبثقة من الأخلاق التي يكتسبها الفرد من الجماعة فتجعله يتمتع بنوع من الخصائص التي تجعل حاملها يعبر عن رمزية الجماعة التي ينتمي إليها، وبالتالي تجعله يختلف عن الجماعات الأخرى.

فما تحمله قيم الثقافة العربية مثلا بتنوعها الطائفي والعرقي، تختلف عن القيم الثقافية للمجتمعات الغربية هي الأخرى بنفس التنوعات الموجودة فيها.

فأي اختراق لمنظومة القيم المجتمعة يحمل صاحبه عاقبة إلصاق نعت "الانحراف" به ويصبح عرضة للعقاب العرفي وهذا من شأنه أن يدخل الفرد فيما بعد في صراع قيمي دائم بين العودة والاستمرار في هذا الأسلوب.

تعبر المعايير عن القيمة الأخلاقية والضبطية لمجموعة القوانين التي تفرضها على أفرادها، فهي تعني، "أي القوانين" مجموع الروادع التي تمنع الفرد من اختراق الممنوع والمفروض من قبل الجماعة.

هذه السلوكات تعبر على المعنى العام للروح الجماعية التي تستوجب الخضوع لها من منطلقات متعلقة بالحفاظ على الموروث التاريخي، وأيضا من أجل الحفاظ على النسيج ألعلائقي بين الأفراد وعلى نسقية الاستمرار والتواتر بين الأجيال، من شأن هذا أن يضمن الحفاظ على معايير الجماعة لترسيخ وتثبيت مجموع القيم الناشئة من روح وعمق الأفراد وحفظ النسق العام من خلال آلية التماثل لهذه القوانين.

فأي اختراق لهذه القوانين، يعتبر اختراقا للموروث الثقافي، وبالتالي هو تعبير صريح عن سلوك انحرافي يحمل في طياته الكثير من المعاني المساعدة في تفكيك النسق العام للمجموعة.

في مقابل ذلك، قد يعبر السلوك الانحرافي عن مجموع الميولات والرغبات الداخلية التي تجعل الفرد يصطدم بالجماعة من خلال الأسلوب الرافض لقوانينها، إذ يزداد هذا الشعور بالانتساب للفضاء الانحرافي تثبيتا من خلال الرفض القاطع للجماعة بفرض العقوبات كالنعت الجارح، الإقصاء والتهميش.

وبالتالي يعرف "الانحراف" لغة على أنه " كل ابتعاد عن الخط المستقيم"[1].

"إلا أننا عندما نتحدث عن السلوك الاجتماعي، لا يمكننا أن نطبق هذا التعريف نصيا لصعوبة تحديد ما يمكن أن نصطلح عليه بالخط المستقيم. فمظاهر الانحراف السلوكية تتعدد وتختلف من مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى نتيجة اختلاف المعايير والقوانين والثقافات وكذلك نتيجة التطور الطبيعي في أساليب المعيشة"[2].

1- نريد أن نوضح أن مفهوم الانحراف ارتبط بجنوح الأحداث، فما قصدناه من هذه الدراسة كان حول تفسير أو تحليل أسباب التوجه في السلوكات الانحرافية على مستوى اختراق الأعراف والتقاليد والذي ليس بالضرورة سيعبر على سلوك جانح الذي يترتب عليه معاقبة القانون الوضعي قبل القانون العرفي، لوجود المجالين في اتجاهين متناقضين،

فما قد يراه القانون الوضعي حدثا جانحا يعاقب مرتكبه، قد يراه القانون العرفي خطأ يجب تصحيحه وفقط. خاصة إذا كان المرتكب للخطأ حسب العرف ذكرا، حيث أن القانون الوضعي لا يفرق بين الذكر والأنثى، عكس القانون العرفي الذي يميز في أحكامه وعقوباته على الذكر دون الأنثى.

يبدو من خلال هذا التوضيح أن تناول موضوع السلوك الانحرافي، يبرهن لنا عن مدى التعقيد العام الذي يواجهه الدارسون في المجال من جهة، حيث تظهر كل الطروحات في أبعادها الفكرية والإيديولوجية.

بالتالي يمكن استخلاص فكرة أساسية وهي أن السلوك الانحرافي لا يؤدي بالضرورة إلى الفعل الجانح عكس الفعل الجانح الذي يبدأ بالممارسات الانحرافية التي ستدخله فيما بعد قفص الجنوح.

2- www.annabaa.org/nbanews/64/292htm. Le 24/04/2009

1- السلوك المنحرف

"نقصد بالسلوك المنحرف ذلك السلوك الخارج عن ضوابط المعايير والقيم الاجتماعية المرعية والسائدة في المجتمع وعدم التماثل لآلياتها. أما السلوك الاجتماعي، فنعني به النشاط المتماثل أو المتماهي مع ضوابط المعايير والقيم الاجتماعية المرعية والسائدة في المجتمع والالتزام بها"[1].

فالسلوك الانحرافي يعبر أيضا عن مدى قابلية الفرد في اكتساب قيم تتعارض مع قيم الجماعة التي ينتمي إليها وبالتالي، فالسلوك الانحرافي في حد ذاته يعبر عن جوهر الشخصية الفردية المتأثرة بالعوامل البيئية المحيطة بالفرد،

هذه المؤثرات قد تكون قوية فتتمكن من سلب الفرد من مقوماته الشخصية، وهذا ما يعرف في الطرح الفلسفي بمبدأ "الاستلاب"، حيث يجد الفرد نفسه أمام قوة قيم جديدة متعارضة والمكتسب ألقيمي الذي أخذه من الجماعة، وبالتالي يصبح بتبنية لهذه القيم فردا منحرفا.

"بتعبير آخر، السلوك المنحرف هو التخلي عن التماثل مع معايير معينة، وتبني معايير جديدة يطمح أو يرغب التماثل معها، فهي عملية اجتماعية صرفة إلا أنها توصف في حالة التخلي بأنها منحرفة عن مقاييس المعايير الأولى، وهذا التخلي يدفع الفرد بأن يتبنى معايير تنسجم وتقترن مع تطلعاته التي يرمي إلى تحقيقها حتى لو كانت متعارضة مع المعايير والقيم الاجتماعية العامة"[2].

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص 19-20.

2- نفس المرجع.

فمن هذا المنطق تتخذ المجموعات الاجتماعية أبعادا قيمية في تحديد هذا السلوك وتوجيهه نحو السلوك الانحرافي، كما يجتهد المحافظون على الأعراف التقليدية في تسليط العقوبات على هذا الصنف من الأفراد حسب درجات السلوك المنحرف.

أما على المستوى الفكري، فإن الطروحات حول الانحراف اختلفت وتضاربت في تحديد ظروف إطلاق هذا النعت "المنحرف".

فالتصنيف لدى المفكرين اختلف حسب طبيعة التوجه الفكري من جهة، وحسب عكس مستوى الانحراف عن المعيار القيمي للمجتمع، وفقا لطبيعة المجتمعات.

"فالفرد المنحرف هو ذلك الفرد الذي تعرض لمؤثرات بيئية من نوع ما يترتب عليها اكتساب مجموعة من العادات والاتجاهات غير السوية تشمل الاتجاه نحو الذات والاتجاه نحو الآخرين فتشكل بذلك البذور الأولى لإمكانية الانحراف"[1].

طبيعة الانحراف ودرجات الانحراف مختلفة، غير أنها تأخذ نفس الصفة والنعت، "في ذات الوقت لا يمكننا أن نتحدث عن وجود انحراف مقبول وآخر غير مقبول حسب درجة الانحراف، وبالتالي لا يمكننا أن نعتبر السلوك الانحرافي "مرضيا"" [2].

مستويات "الانحراف" وإن اختلفت وصعب تحديدها، إلا أن الصفة التي يمكن أن يوصف بها مفهوم "الانحراف" تتمثل بالنسبة للدارسين في مجال العلوم الاجتماعية بالنسبية.

1- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية** على الشباب، مرجع سابق، ص37.

2-الموقع الالكتروني http://Fr.wikipedia.org/wiki/D/C3/Agviance le 29/04/2009 .

فالتعميم هنا غير واضح، إذ اعتبرنا مبدأ القياس في هذه الحالة لا يتوافق والطبيعة الحقيقية للمجتمعات من خلال مجموع التشكيلات التاريخية العرفية، الإثنية، اللغوية. من خلال الموقف المعارض لها للفرد المتبني للسلوكات المعارضة لها.

وفي هذا السياق "يرى (Albert Ogien)، أن "الانحراف" نسبي، حسب طبيعة كل مجتمع مدروس، وحسب زمن الدراسة، "فالانحراف" يعني موقفا (une attitude) أو سلوكا غير متوافق مع قيم ومعايير المجتمع. فإذا كانت هذه القيم والمعايير في تطور، فإن مفهوم "الانحراف" في تطور أيضا"[1].

يعبر السلوك الانحرافي أيضا على مدى قابلية الفرد في اكتساب قيم تتعارض مع قيم الجماعة التي ينتمي إليها.

فالسلوك الانحرافي في حد ذاته يعبر عن جوهر الشخصية الفردية المتأثرة بالعوامل البيئية المحيطة بالفرد.

مع ذلك، فإنه ما كان يعتبر في مرحلة زمنية معينة انحرافا، فإنه مع الزمن يمكن ألا يعتبر كذلك بالنظر إلى تغير منظومة القيم الاجتماعية.

في هذا السياق يركز (Haourd Bieker) في كتابه (Outsiders)[2] في دراسته للانحراف على أن السلوك الانحرافي هو نظرة الآخر للسلوك على أنه انحرافي، أولا ويكون ذلك من خلال قيم ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها الفرد. بينما مثل (George Simmel)، المنحرفين بالفقراء الذين وجدوا في المجتمع فقراء وبالتالي فهم مقبولون بفقرهم لا يمكن إقصائهم كالمنحرفين

1- نفس الموقع الالكتروني .

2 -ts29.Free.Fr/…/Fiche%20 lecture%20 outsiders %20 (H%20 Becker).doc سبق ذكره

الذين هم نتاج المجتمع الذي ينتمون إليه بفعل تعدد العوامل المتداخلة في هذا الإنتاج[1].

2- الانحراف الاجتماعي

يرتبط المعنى العام للسلوك الانحرافي بالممارسات الفردية، لا الجماعية في بعدها النشوئي والاعتقادي.

ذلك لأن "السلوك الانحرافي" حتى قبل أن يظهر للجماعة في شكل سلوك متعارض مع القيم هو موقف ينشأ لدى الفرد من خلال مجموعة تأملات تتحول إلى فكرة يتبناه الفرد فيعتقد بها ويمارسها كأساس قائم في ذاته، يتحمل بعدها عواقب ما يتلقاه من المجتمع.

هذا الاعتقاد قد يكون نابعا من قناعات شخصية تتأقلم وظروف البيئة المحيطة به. كما أن مثل هذه الاعتقادات الفردية، تؤسس لدى الفرد نوعا من البحث عن الذات من أجل تأكيدها داخل النسق الذي يعيشه فيه وهي بذلك بدايات لتكوين هوية فردية منطلقة من قناعات شخصية، لكنها تعارضية مع قيم الجماعة.

أما "الانحراف" الاجتماعي، فإنه يعبر عن اشتراك مجموعة اجتماعية في تبني مواقف وآراء وممارسة سلوكات متعارضة مع قيم الجماعة العامة، كما أن الانحراف لدى أفراد هذه الجماعة قد تختلف مستوياته بدرجات متباينة لكن حتى وإن عبرت عن التضارب مع الأعراف. وإلا أن هذا التواجد المؤسس لهويات جديدة في المجتمع، يعبر عن مدى صعوبة التعايش داخل

1- نفس الموقع.

النسق الذي سيعاني الكثير من التعارض داخل تركيبته الاجتماعية في أبعادها النشئوية والتأسيسية من حيث العمق التاريخي ومبدأ الحفاظ على أساس هذا الوجود.

على هذا الأساس يمكن تحديد مفهوم ""الانحراف الاجتماعي" على أنه تصرف غير ملتزم بقواعد المعيار الاجتماعي المرعية والمقبولة من قبل أفراد الجماعة، في الوقت ذاته لا يوجد فرد "منحرف" عن كافة معايير المجتمع –باستثناء المتمرد عن المجتمع– ولا يوجد أيضا ملتزم بقواعد المعايير الاجتماعية جميعها" [1].

فصفة "الانحراف" تختلف حسب التنظيمات الاجتماعية وهو متأثر بالظروف الزمانية (التاريخية) والمكانية، فما يمكن اعتباره "انحرافا" في منطقة ما، يمكن اعتباره سلوكا عاديا في منطقة أخرى ولتوضيح ذلك، سنحاول أخذ بعض الأمثلة.

– في الدول الغربية وخلال القرنين السابقين (التاسع عشر والثامن عشر وما قبل) كان يعتبر المرأة المدخنة وخروجها سافرة، "انحرافا" واختراقا لقوانين الجماعة العرفية.

أما الآن فلم يعد يعتبر كذلك بل صاريرى فيه سلوكا اجتماعيا عاديا طبعت عليه صفة العصرنة والتحضر. فيما لا يزال يعتبر المرأة المدخنة في كثير من الدول العربية والإسلامية "انحرافا" و"خرقا للقوانين" العرفية.

1– معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص56.

ولا يمكن للجماعات أن تتقبل مثل هذه الخروق، بينما وبشكل واضح تتقبل بعض الجماعات في المجتمعات العربية تدخين المرأة بتحفظ فهي لا تعتبره انحرافا، في حين يعتبر تدخين الرجل سلوكا عاديا وإن كان محرما في عمومه.

أما إذا تحدثنا على أشكال الخروق الاجتماعية ومتى يمكن اعتبارها انحرافا، فإن ذلك مرهون دائما بطبيعة المجتمع (la nature de la société) والنوع (le genre).

فإذا تحدثنا عن الممارسات الجنسية مثلا، فإن المجتمعات تتقبلها عند الرجال، مع بعض الاستثناءات خاصة إذا وصل الأمر بالمرأة أن تحمل، إن ذلك يفرض على الرجل نوعا من الضغط الاجتماعي، وليس الإقصاء، سرعان ما يتلاشى –أي الضغط الاجتماعي– مع الوقت على الرجل كونه رجلا.

بينما نجده عند المرأة، وإن بدا في ظاهره في المجتمعات الغربية مقبولا، إلا أن الأسر المحافظة مازالت تمارس الرقابة والضغوطات عليها وتعتبرها "منحرفة" في حالة ما إذا عقدت علاقات خارج نطاق الزواج.

كما يمكن اعتبار ذلك في المجتمعات العربية أمرا مرفوضا، إلا أنها أصبحت مع الوقت تخضع لحتمية العصر، وهذا ما نلاحظه من خلال المصادقات بين الرجال والنساء وإن كانت تتحدد في بعض المناطق التي يحكمها العرف.

أما إذا تعدت العلاقات حدود الصداقة والزمالة ووقعت الفتاة في "الخطيئة" (كفقدان العذرية، أو الحمل) فإن من شأن ذلك أن يثبت عليها

صفات التحقير والتشميت والنفي من الجماعة، فهي وصمة عار تلاحقها مع الزمن والأمثلة كثيرة في المجال.

فمن خلال ما سبق الإشارة إليه من مؤشرات للانحراف كالتدخين والعلاقات الجنسية فإن ذلك مرتبط بأنماط وثقافة الأسر خارج الزواج في المجتمع الجزائري بتنوع أنماط الأسر، فإذا كان للأسر التقليدية والمحافظة التي ترفض حتى التدخين عند الرجال في بعض المناطق المحافظة المشددة في أحكامها على "السلوك الانحرافي" سواء كان من قبل الرجل أو المرأة.

فإنه في المقابل نجد بعض "الأسر العصرية" بحكم التقليد أو التأثير أو التعلم والمحاكاة، التي أصبحت تتقبل بعض الممارسات بنوع من التردد لكنه في الأخير موجود كالتدخين عند الفتاة والعلاقة بين الرجل والمرأة من زاوية الصداقة والزمالة رغم أن هذه الصداقة والزمالة قد تتعدى هذه الحدود أحيانا. معتبرين ذلك مواكبة للعصر ولا ضرر في ذلك.

3- انحراف أم جنوح أحداث

المتأمل للمصطلحين، من خلال أدبيات الاستعمال الأكاديمي عند الطرح الفكري، يلاحظ كما لو أن المصطلحين متلازمين، وكل من تناول موضوع "الانحراف"، ألحلقه بموضوع جنوح الأحداث.

في مقابل ذلك، ربط من تناول جنوح الأحداث "بالانحراف"، والواقع أن العمق التفسيري يجعل منهما مصطلحين متباعدين، ذلك أن ما هو "انحرافي"، ليس بالضرورة مؤداه جنوح أحداث.

فالسلوك الانحرافي في حد ذاته قد يرتبط بمجموعة من المسببات والنتائج المتعارضة مع معطيات الفعل الجانح، بمعنى أن "سلوك المنحرف" مرتبط بالآنية والمكانية.

قد ترفع عليه صفة النعت بمجرد الامتناع، بينما "الفعل الجانح" يحمل الفرد مسؤولية أفعاله فتترتب عليه عقوبات وضعية تلازم مساره الحياتي من الناحيتين القانونية و العرفية.

كما يمكن لمجموعات أن تتوافق على تصنيف "الحدث الجانح" وإن اختلفت أنساقها من الناحية التكوينية المرتبطة بالضبط لدى الدارسين المتخصصين في القضاء.

وبالتالي، فالعقاب فيها لأصحاب القانون بينما "الانحراف" قد لا يترتب عنه عقاب قانوني، غير أن الحدة تكون مطروحة على المستوى العرفي للجماعات.

فالقانون الطبيعي هنا يفعَّل بالدرجة الأولى بينما جنوح الأحداث قد تكون فيها أولوية القانون الوضعي عن القانون الطبيعي وإن وجد فهو ضمني في القانون الوضعي.

4- النظريات المفسرة "للسلوك الانحرافي".

1.4- نظرية "الانحراف" الانتقائي.

نظرية "الانحراف" الانتقالي ترى أن الانحراف سلوك مكتسب وعلى هذا الأساس، فالفرد يتعلم "الانحراف" ويكتسبه كما يتعلم فرد آخر السلوك الصحيح، فإن "هذا الطابع لمجموعة من الأفراد المنحرفين يساهم في اتساع

دائرة "الانحراف" عن طريق استقطاب أفراد جدد حيث يشبه رواد هذه النظرية ظاهرة "الانحراف" بالمغناطيس الذي يجذب إليه نشارة الحديد"[1].

تركز هذه النظرية على مدى تأثير المحيط على الشخص، ذلك أنه عند ولوج الفرد جماعة رفاق منحرفة، ينخرط فيها لمجرد الوجود فيكتسب سلوكا جديدا عليه يراه فيما بعد صوابا. ويصبح "السلوك الانحرافي" في نظره سلوكا سويا، بينما يرى الصواب "انحرافا"، كما لاحظنا ذلك من بعض المعطيات الميدانية لبعض الفتيات اللائي يختلطن بجماعة "منحرفة" ضمن المحيط في الغرفة أو الحي بصفة عامة.

فالفتاة التي لا تدخن مثلا، والتي ليس لها صديق والتي لا تقبل على السهرات الليلية، تبدو للجماعة المنحرفة غير طبيعية.

هذه الصفة كانت سببا مؤثرا وبشكل واضح، على بعض الطالبات اللائي اقتحمن فضاء "الانحراف"، من باب الفضول بالدرجة الأولى ورفع صفة كون الفتاة غير طبيعية.

2.4- نظرية القهر الاجتماعي.

"الانحراف" بموجب هذه النظرية، يعزى إلى عدم التوازن بين الهدف الذي يبتغيه الفرد في حياته والوسيلة التي يستخدمها لتحقيق ذلك الهدف في النظام الاجتماعي. فإذا كان الفارق بين الأهداف الطموحة والوسائل المشروعة التي يستخدمها الأفراد كبيرا، يصبح الاختلال الأخلاقي لسلوك الفرد أمرا واضحا[2].

1- www.annabaa.org/nbanews/64/292htm. le 25/01/2009
2- www.annabaa.org/nbanews/64/292htm. le 25/01/2009

مفاد ذلك أن الفقر من أبرز المسببات التي تنتج المفارقات بين الطبقات والشرائح. وأيضا وأمام وجود رغبة اللامكبوح للاستجابة للغريزة الطبيعية البعيدة عن القناعة والمطالبة بكسب المال وإن كان باللامشروع.

3.4- نظرية الضبط الاجتماعي.

ترى هذه النظرية "أن الانحراف عبارة عن ظاهرة ناتجة عن فشل السيطرة الاجتماعية على الأفراد". فهي ترى أن "الانحراف" يتناسب تناسبا عكسيا مع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد؛ فلو درسنا حالات الانتحار في المجتمع الإنساني مثلا، للاحظنا أنها أكثر انتشارا في المجتمعات التي لا تقيم وزنا لصلة الرحم، والزنا، و لا تهتم بعلاقات القرى والعشيرة"[1].

يدعم أصحاب هذه النظرية مبدأ الضبط الاجتماعي كآلية من آليات التحكم في الأفراد من أجل الحفاظ على نسقية الاستمرار، بتوافق جميع أدوار التنشئة الاجتماعية بداية بالأسرة، فالمدرسة، فالشارع، فالمسجد.

إذ أن وجود ثغارات في التباعد الوظيفي لكل مؤسسة سيعبر فيها بعد عن اعتلالات، تظهر على مستوى سلوك الأفراد الانحرافي وبالتالي ارتفاع معدلات "الممارسات الانحرافية".

هو تعبير واضح عن وجود اختلالات في الأداء الوظيفي بمؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي ستجعل الأفراد يدخلون في صف المعارض لقيم الجماعة.

لقد عبرت هذه النظريات عن دوافع "الانحراف" حسب الإطار العام الموجود في موضوع "الانحراف"، بينما هناك تفاسير أخرى توضح لنا أسباب "الانحراف" حسب المجالات.

1- www.annabaa.org/nbanews/64/292htm. le 25/01/2009

"فهناك مثلا، أنصار النظرية الاجتماعية الذين يبررون "السلوك الانحرافي" بحسب الظروف البيئية المحيطة بالذات المنحرفة، ذلك أن للمحيط دور هام في تأسيس وترسيخ القيم التي تتكون لدى الفرد من خلال قناعاته الشخصية المستمدة من عملية التأثير على الآخرين والتأثر بالآخرين. غير أن هذا التأثير في توجيه السلوك الانحرافي بدافع المحيط أو البيئة يبقى "عرضي وليست إلزاميا"[1].

4.4- نظرية الإلصاق الاجتماعي.

"ترى هذه النظرية "أن الانحراف الاجتماعي ناتج عن مجموعة من الأفراد في الإشارة إلى أفراد آخرين بأنهم منحرفون". فإذا ألصقت الطبقة الرأسمالية المسيطرة في أوروبا مثلا فكرة "التخلف" بالأفارقة وكرروها في وسائلهم الإعلامية، أصبح الأفارقة متخلفين في المرآة الاجتماعية الأوروبية"[2].

هكذا مثلا فإن طالبات الأحياء الجامعية قد التصقت بهن صفة "الانحراف"، لهذا فهي تنغمس فيما وصفت به على أنها ثابتة في المعتقد الجماعي. ولهذا تمارس "الانحراف" بشتى أنواعه لأنها ترى في المسألة وصمة لا يمكن التخلص منها كونها ابنة الحي الجامعي (بنت la cité) وهذا ما سنوضحه ضمن المحتويات اللاحقة.

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص155.

2- www.annabaa.org/nbanews/64/292htm. le 25/01/2009

يرى أصحاب هذه النظرية أن توجيه سلوك الأفراد يكون انطلاقا من البيئة التي يوجد فيها الفرد خاصة أولئك الذين يقترنون بزملاء لهم لا يتمتعون بالسلوك السوي ويميلون إلى الممارسات غير المشروعة، فهم بالتالي يحملون قيما منحرفة قد تؤثر على رفقائهم بحكم التواجد أو الاختلاط.

"هكذا فإنه تفاعل الفرد مع بيئة اجتماعية، تشجع على "الانحراف" عن معايير المجتمع واقترن هذا التفاعل مع مصاحبة أفراد يحملون معايير منحرفة، فإن ذلك الفرد سوف يتأثر بالمؤثرين (البيئة والمصاحبة)، فيسمى منحرفا كتحصيل حاصل. فالذي قصده سذرلاند في هذا التأويل، هو أن الانحراف عن معايير المجتمع يكون مكتسبا من الجماعة الأولية (الصداقة) وبالذات مع الجماعة العمرية"[1].

5.4- النظرية النفسية

الفرد يعيش أسيرا لأحواله النفسية التي تكوّن شخصيته انطلاقا من البيئة التي عاش فيها هذا الفرد إضافة إلى مجموع المحصلات الأخرى التي تصاحب المرحلة النشئوية.

فالسلوك الفردي نابع من مجموع الميولات والمعتقدات والتصورات التي يصنعها العالم الداخلي في الفرد، فالسلوك هو المرآة العاكسة لهذا العالم الداخلي الذي فسره (Segmand Freud) بالمستويات الثلاث.

- الهوى: وهو ما عبر عنه بالنفس البدائية المقترنة بالاستجابة الغريزية لكل ما يرضي الذات فسماه بمبدأ اللذة.

1- المرجع السابق، ص160.

– الأنا: عبر عنه بالنفس التوافقية أي التوفيق بين الهوى والمحيط.

– الأنا الأعلى عبر عنه بالنفس المثالية التي تدفع بالفرد على ما يريد دون الوقوف عند الكوابح والممنوعات والمحرمات.

فهو يرى أن هذه الثلاثية تعبر عن شخصية الفرد وأن أي اختلال في أداء السلوك الفردي، هو تعبير عن اختلال إحدى العناصر المكونة لهذه الشخصية. غير أن هذا التأويل لقي الكثير من الاعتراضات النقدية.

الملاحظ أيضا من نتائج الدراسة، أن أعمار العينة المدروسة متقاربة انحصرت بين (18–22). "هذه المرحلة تعرف بمرحلة المراهقة المتأخرة التي تتميز باستواء النمو البدني وظيفيا كما تبدو علامات الاستقرار والهدوء على الشاب مع محاولة التكيف مع الوسط الاجتماعي"[1].

وأيضا الفئة العمرية(23–26) وهي أعمار متقاربة يدخل الأفراد فيها عالم التواصل المباشر ويعبرون فيه عما يرغبون فيه ويمارسون فيه ما يحبون.

فهم يعيشون عالما صنعوه لأنفسهم يشتركون فيه أحيانا في ظروف تنشئتهم الاجتماعية خاصة إذا كانت سيئة، ويعبرون فيه عن مشاعرهم وعن طموحاتهم، فهم بهذا يشكلون نسقا اجتماعيا جديدا غير الذي وجدوا فيه محددا جغرافيا وثقافيا وحتى اقتصاديا وسياسيا.

1–علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية الاجتماعية على الشباب**، ص66، مأخوذ عن محمد جميل محمد وآخرون، ***النمو من الطفولة إلى المراهقة***، ص447، قامة العربية السعودية، 1980، ص447.

فشبكة التوقعات المشتركة موحدة هدفها العيش السعيد ولا يتحقق ذلك إلا بكسب المال*.

5- أسباب ومنشأ السلوكات الانحرافية

1.5-غياب المعاييرالأنومي

"تأويل اجتماعي آخر ظهر في عام 1957، صاحبه "روبرت مرتون" Robert Mertan فسّر فيه "السلوك المنحرف" والإجرامي من خلال ربطه بالمعايير المفقودة أو الغائبة داخل المجتمع. في هذا التأويل استعان "مرتون" بتأويل "اميل دوركايهم" عند بنائه "نظرية الانحراف" في المجتمع الحديث الذي يفتقد المعايير التقليدية بسبب تفويضها من قبل القوى المادية"[1].

يحدث الكثير من الاعتلالات النسقية التي ستساهم في توجيه السلوك العام للأفراد نحو الانحراف، ويكون السلوك الانحرافي في ذات الوقت انفلاتا قيميا نسقيا، استجاب للنزعة المادية التي ستوجه السلوك القيمي العام في

*وعن واقع الممارسات الانحرافية الواقعة من خلال الانتهاكات العرفية كتناول المخدرات والتدخين والسهرات الليلية ورد مقال في جريدة الشروق يوضح ذلك، كما جاء في نص المقال على النحول التالي:

في أحدث دراسة للهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث سنة 2010، 33% من الطلبة و13% من الطالبات تناولوا الكحول، أثارت دراسة حديثة للهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث (فورام" حول واقع تناول المخدرات والكحول في الجزائر جدلا واسعا في الأوساط الإعلامية، بسبب ما كشفته من نتائج مخيفة عن تغلغل المخدرات والكحول في الأوساط الجامعية بشكل غير مسبوق، ما ينذر بانفلات أخلاقي قد يعصف بحرمة الجامعة الجزائرية.

33% من الطلبة و13% من الطالبات اعترفوا بتناولهم الكحول هذا ما كشفت عنه أحداث دراسة شملت 11 ألف شخص من 10 ولايات معظمهم طلبة، وبينت الدراسة أيضا أن 33% من الطلبة كانت لهم فرصة تناول المخدرات بشكل متقطع وجماعي، مما يبين أن أهم دافع للانحراف هم رفقاء السوء والصحبة المنحرفة، وقد وزعت استمارات على أزيد من 4700 طالب تضمنت العديد من الإجابات حول واقع المخدرات في الجزائر منها أن 15% من الطلبة يعتبرون أن تناول المخدرات يساعد على نسيان وتجاوز الهموم والمشاكل، وهذا ما دفعهم إلى تناولهما، وبينت الدراسة أيضا أن 40% من الطلبة و12% من الطالبات اعترفوا أنهم يدخنون، كما بين التحقيق أن 36% من أولياء الطلبة يدخنون مما يبين أن القدوة السيئة للآباء هي الدافع الأول للتدخين ولولوج عالم الانحراف (جريدة الشروق، الجزائر، العدد 2976، السبت 2010/06/26)..

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع السابق ، ص161.

المجتمع نحو ما هو مادي غير خاضع للقوانين العرقية، وبالتالي للقوانين التقليدية، التي انسلخت ضمن ما يعرف بالتحول الاجتماعي والاقتصادي، الذي سينجم عنه اضطرابا واضحا في المعايير المجتمعية.

نجد "مرتون" يقول بأن اضطراب المعايير الاجتماعية، ينجم عن كسر أو تهشم أنساق البناء الاجتماعي ومفاصله الرابطة بينهما، وهذا غالبا ما يقع عندما يحصل هناك انفصال حاد بين المعايير الثقافية وبين طاقة البناء الاجتماعي، وأفراد المجتمع بالتصرف حسب المعايير البنائية[1].

عندما يعيش الشاب وسط مجتمع تكسر بناؤه الاجتماعي وتبعثرت معاييره وباتت في اضطراب وتوتر، عندها يضطر إلى تبني طرق منحرفة للوصول إلى أهدافه.

من هذا المنطلق، سمى "مرتون" هذا التبني بالمبدأ الذي يعني أن الشاب ينظر إلى أهداف المجتمع نظرة احترام وتقدير ويريد الوصول إليها، إلا أنه يرفع استخدام الوسائل السائدة والمتبعة من قبل أفراد مجتمعه بالوصول إلى هذه الأهداف. وإزاء هذا الموقف يلجأ الشاب إلى تبني وسائل غير قانونية (منحرفة) (بسبب الاضطراب المتوتر للمعايير الاجتماعية التي تسببها انهيار البناء الاجتماعي) [2]. بدوره، يؤكد "مرتون"، أن السلوك المنحرف هو وليد الوضعية الاجتماعية التي يجد الشخص نفسه فيها، وعزا الباحث الاجتماعي "شومبارديلو" الانحراف إلى عوامل أولية نابعة من المحيط ذاته، وعوامل ثانوية هي عبارة عن حاجات ولدتها العوامل الأولية[3].

1- المرجع السابق، ص161.

2- المرجع السابق، ص241-242

3- المرجع السابق، ص148.

هذا التفسير، اعتمده علماء الاجتماع في دراستهم المتعلقة بموضوع الانحراف وجنوح الأحداث، فربطوا المسببات بالبيئة الاجتماعية أكثر من أي سبب آخر.

في مقابل ذلك، نجد مسببات أخرى تتدخل في توجيه السلوك الانحرافي، كالمسبب البيولوجي مثلا. حيث يرى أنصار هذا التفسير أن السلوك الانحرافي متأصل في الذات الفردية إذ تتدخل العديد من العوامل البيولوجية في توجيهه.

ولعل من أبرز هؤلاء "لومبروز" الذي أعطت نتائج بحثة الكثير من المعطيات التي قام بها على مجموعة من المساجين في الجيش الأمريكي، فقام بتشريح جماجم العديد من موتاهم ليخلص في الأخير إلى أن معظم الجماجم كانت مجوفة من الأسفل بأشكال متشابهة.

كما أن القائل بأن علامات الإجرام تظهر على ملامح الفرد مثلا، "كبروز عينه أو صغر وكبر أذنيه على الحجم العادي، إلا أن معطيات هذه الدراسة بقيت مع الوقت تأخذ بالكثير من الحذر والتحفظ لعدم مطابقتها أحيانا لقناعات الشخصية عند الدارسين لضعف البرهان والحجة فيها.

2.5- جماعة الرفاق.

لجماعة الرفاق حضور كبير في التأثير على معتقدات وتوجهات الأفراد فيما بينهم، والمصاحبة بشكل غير انتظامي، تعبير عن اضطراب الفرد وتشتت في أفكاره.

مثل هذه الأحوال قد تكون مساعدة في جعله عرضة للمؤثرات من طرف الرفاق بالسوء والإيجاب بدرجات مختلفة حسب الحلقة الاجتماعية التي يوجد فيها هذا الفرد. وقد انشغل بالموضوع كثيرا ألدون سندرلاند"*.

ضمن هذا كله، ومن خلال المعطيات الميدانية التي استوقفتنا أثناء البحث، وضحت لنا نتائج الدراسة أن لجماعة الرفاق دور التأثير والتأثر بسلوكيات الواحد بالآخر وبحتمية البيئة المحدودة اللائي وجدن فيها –الحي الجامعي– .

وأيضا بسبب غياب القيم التقليدية والقوانين العرفية وغياب أسلوب الزجري والمنعي، إضافة إلى غياب المعايير الضبطية داخل المجال أو البيئة دعمت بشكل أو بآخر أسلوب الهوس عند الطالبات المولوعات بحب التقليد "المعاندة" والانبهار "الخلعة" ومن أجل اكتشاف الفضاء الجامعي المرهون بالحرية الظرفية.

هذه الأخيرة تحتم على بعض الطالبات الدخول عالم السرعة مع الوقت من أجل ربح الوقت والانغماس في عالم آخر ترفع فيه ضوابط الأعراف التقليدية، هكذا تجد الطالبة نفسها تقبل على التدخين، وعلى السهرات وتعاطي المخدرات، والمصاحبة غير المشروعة.

كل ذلك تحت تشجيع ملح من طرف الصحبة المتنوعة. ويجشعن الطالبات هنا بعضهن بعضا بأسلوب الدفع نحو هذه الممارسات، فتجدهن يستعملن بعض المصطلحات المشجعة على ذلك، "بروفيتي" أي اغتنمي

* أحد علماء مدرسة شيكاغو الأمريكية

الفرصة قبل فوات الأوان. وعليه تجد الطالبات أنفسهن أمام ممارسات انحرافية تعززها الفئة العمرية catégorie d'age .

6- مؤشرات الانحراف داخل المجال المدروس

1.6 – التدخين و المخدرات

تتوسع ظاهرة التدخين في كل المجتمعات، وبشكل مفرط ترتفع بين الإناث بمختلف الأعمار، وللتدخين تأثيرات صحية خاصة على الجسد الأنثوي على اعتباره أقل تحملا وأكثر ضعفا من جسد الرجل، من بين أخطر الأمراض التي يفرزها التدخين

- Cancers broncho-pulmolnaire
- Cancers du larynx
- Des bronchites[1].

1- Vernhs Mireille : « le bien être et la forme », S.A Rel édition Robert laffont, 1985, p224.

بالنسبة للتعريف العام للانحراف والذي يعني الخروج عن الخط المستقيم ويكون ذلك باختراق الحدود العرفية للنسق الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد، وبالتالي نجد التدخين عند الفتاة بالدرجة الأولى في المجتمع المدروس يعتبر انحرافا، حسب المعنى العام للعرق الاجتماعية، لذا نجد أن الفتاة المدخنة، تدخن خفية عن أسرتها وأقاربها لمعرفتها التامة لما يعنيه تدخين الفتاة عند الجماعة التي تنتمي إليها، في حين نجد أن تدخين المرأة في بعض من المناطق الداخلية خاصة الصحراوية في الجزائر جائز ولا يعتبر انحرافا.

غير أن تدخين المرأة في هذه المناطق مرهون بمرحلة عمرية خاصة، تتمثل في مرحلة سن اليأس، أي ما يقارب سن الخمسين فما فوق، هذا المنطق يمكن مقاربته بالنظرة الدينية التي تسمح للمرأة خلال هذه المرحلة بالذبح مثلا. هذا من رؤية اجتماعية ثقافية، أما من الناحية الدينية والسياسية فالأمر يختلف، لكن في آن واحد يعتبر تدخين المرأة انحرافا لأن طبيعة المجتمع المدروس توضح ذلك. الطبيعة الدينية للمجتمع الجزائري معروفة بالتوجه نحو المذاب المالكي الذي يحرم التدخين على المرأة والرجل سواء عكس الشيعة الذين يقولون بتدخين المرأة والرجل ولا يرون أي إحراج في ذلك، واعتبار التدخين انحرافا لأن كل الحالات المدروسة والمستوجبة تخفي حقيقة تدخينها أمام الأسرة وهي تعتبرها مرحلة عابرة في حياتها، فتجد أن الطالبات المدخنات يصرحن بأنهن سيقلعن عن التدخين مباشرة بعد خروجهن من الحي الجامعي، وأن هذا السلوك هو سلوك غير عادي، والتدخين في حد ذاته يعبر عن هوية من نوع خاص.

مع ذلك تشهد الأحياء الجامعية انتشارات واسعا لظاهرة التدخين بين الطالبات قد تصل إلى الإدمان، فبعدما كانت ظاهرة التدخين ولفترة ليست بالبعيدة تتم بتحفظ وتستر بين الطالبات، خاصة وأن غالبية المقيمات من مناطق محافظة.

وعلى اعتبار عدوى التدخين تكون إما الفضول، أو الرغبة الملحة أو التقليد لتجد الفتاة نفسها تحت وطأة الإدمان ولا تستطيع الإقلاع عنه.

وهناك من تقول أن الخطوة الأولى نحو الانحراف ودخولها عالم الرذيلة (كما عبرت عليه غالبية المبحوثات) يبدأ من إمساكها بأول سيجارة، حيث ترى الطالبة بأن حياتها قد انقلبت بعد أول خطوة نحو "الانحراف".

هذا ما يفسر لنا مدى الإدراك الجدي للفتاة للقوانين العرفية المفروضة عليها فلمجرد أول خطأ وإن كان بريئا تعتبر منحرفة. وهذا ما يوضحه الجدول رقم 01.

جدول رقم 01: توزيع إجابات المبحوثات حول التدخين

هل تدخنين	التكرارات	النسب
نعم	53	%53
لا	33	%33
بدون إجابة	14	%11

المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتضح لنا أن 53% من المبحوثات صرحت بتناولهن للسيجارة مقابل 33% قالت بأنهن لا يدخن في حين 11% منهن امتنعن عن الإجابة (والامتناع عن الإجابة على مثل هذه الأسئلة قد يعني نعم.

ومنه يمكن أن ترتفع نسبة المدخنات إلى أكثر من ذلك)، إن النسب الموضحة وإن بدت متباينة غير أنه من خلال ما لحظناه فإن نسبة التدخين بين الطالبات في الحي الجامعي تتوسع وترتفع.

وهي في انتشار مستمر بطريقة أخطبوطية. فقط لبعض التحفظات، تحاول بعض الطالبات إنكار تدخينها، ذلك ما يفسر لنا عدم الرضى على الأسلوب الجديد في حياتها، وهو مبدأ متناقض في الذات الإنسانية يوضح لنا معنى الانزلاق في حياة الفرد وما سينجر على ذلك من مخلفات سلوكية مضطربة لدى الفرد.

في حين أن مثل هذه الممارسات تعكس لنا المعتقد الجديد النابع والمفسر للهوية الفردية باعتبار أن للإنسان دور كبير في تكوين شخصيته المنفردة بمعناها الذي سلمت به الفلسفة الحديثة منذ "هيغل" والقائلة بأن الإنسان هو الذي يصنع نفسه في التاريخ[1].

وللتدخين عند الفتاة المدخنة "مزايا كبيرة. فهي تعتبر التدخين الأنيس الوحيد لها في عزلتها عند ما تكون داخل الحي، خاصة بغياب الوسائل الترفيهية.

1- لطيفة الأخضر، **امرأة الاجتماع**، سراس للنشر، تونس 2001، ص133.

والتدخين أيضا، تعبير عن لم شمل العديد من الفتيات من أجل السمر وقضاء أوقات الفراغ الجماعية خاصة باللقاءات الليلية".

فالتدخين بهذا الأسلوب، يعبر عن هشاشة الشخصية عند الفتاة التي تجعل نفسها عرضة للمؤثرات الخارجية والاستسلام لها لمجرد شيوع الظاهرة.

يعبر هذا بدوره عن غياب الدور الفعلي للتنشئة الاجتماعية والتي تعني إعداد الفرد لمواجهة المؤثرات الخارجية وحكمة التصرف معها.

في مقابل ذلك وعلى اعتبار أن غالبية الطالبات من مناطق محافظة وصغيرة، فهن يرين من التدخين أنه "تحضر" و"مواكبة للعصر" هذا ما يعرف بالطرح السوسيولوجي "الانبهار بالعالم الجديد"، حيث تستلب منه معاني الوجود الإنساني الذي نشأ منه.

وهناك من ترى أنها بدأت التدخين في المراحل الأولى من حياتها، أي منذ كانت طفلة. فقد يكون الوالد أو أحد الأقارب يدخن، وعند غيابهم وتركهم للسيجارة مشتعلة ولكونها طفلة لا تعلم ما معنى ذلك إلا من باب التقليد، ومحاولة التمثل "S'auto-identifier"، كانت تأخذها في غيابهم لتصبح فيما بعد مدمنة عليه دون علم أهلها خاصة عند الفتيات، اللائي ينتمين إلى أسر فيها الوالدان يعملان طول النهار. ينطبق هذا أيضا على تعاطي المخدرات والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم 02: توزيع إجابات المبحوثات حول تناول المخدرات*

هل تتعاطين المخدرات	التكرارات	النسب
نعم	05	%05
لا	95	%95
المجموع	100	%100

أما فيما يتعلق بالمخدرات، فقد عبرت نسبة 05% من كونها تتعاطاه إذا أخذنا بعين الاعتبار النسبة التي تتحاشى التصريح المباشر لما تعنيه هذه المادة من خطورة غير أن ذلك لا يمنع كون الظاهرة استفحلت بين الطالبات باختلاف أنواع المواد المخدرة.

2.6 – تناول الخمر والسهرات الليلية.

ومن بين المؤشرات الأكثر وقعا، معاقرة الخمرة والشهوات الليلية رفقة الذكور الأجانب وأقوى مؤشرا لبذور الانحراف وهي شرب الخمر الممنوع في المجتمع الجزائري شرعا حسب قانون الإسلام[1].

*وعن مقال آخر نشر بجريدة الخبر يوضح ذلك: "الخبر" تنفرد بنشر أول نتائج تحقيق وطني حول الإدمان 32000 مدمن و300000 مستهلك للمخدرات منهم أطفال في الثامنة، الجزائريون يستهلكون كل أنواع المخدرات.

كشفت أول نتائج التحقيق الوطني الذي أعده الديوان لمكافحة المخدرات وإدمانها، بأن الكيف المعالج والهيروين والكوكايين والحبوب المهلوسة تستهلك في كل الوطن دون استثناء، كما أن هناك أزيد من 32 ألف مدمن مخدرات بالجزائر، وأن استهلاك المخدرات منتشر في الأطوار التعليمية بسبب تزايد مافيا هذه السموم.

والأخطر من هذا كله، فإن المخدرات والأقراص المهلوسة منتشرة لدى الشباب إناثا وذكورا من 12 إلى 35 سنة، وبقوة، فضلا عن أنها منتشرة لدى الكهول الذين يزيد سنهم عن 35 سنة.

كما كشف التحقيق أن المخدرات منتشرة في الأطوار التعليمية الثلاث وصولا إلى الجامعات والإقامات الجامعية، لكن ما يجب الإشارة إليه أنه تم الوقوع على أطفال تبلغ أعمارهم 8 سنوات يتعاطون المخدرات ويزاولون الدراسة في الطور الابتدائي (جريدة الخبر، الجزائر، الجملة 2010/12/10، الموافق لـــ04 محرم 1432، ص3)

1- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية الاجتماعية على الشباب**، ص113.

ولخطورة الظاهرة تعود منظمات عالمية تنشط في الدول الغربية كتلك التي تنشط في المجتمع الفرنسي (Alcoolique Anonymes A.A) من أجل التقليل من حدتها بتقديم المساعدات عن طريق النصائح والإرشادات[1]. والجدول التالي يوضح نسبة تناول الخمرة في المجتمع المدروس

جدول رقم 03: تناول الخمرة في العينة المدروسة

هل تتناولين الخمر	التكرارات	النسب
نعم	10	%10
لا	73	%73
بدون إجابة	17	%17
المجموع	100	%100

عبرت نسبة 10% من المبحوثات عن تناولهن الخمور، للعلم فإن 10% ليست نسبة تعبيرية صريحة بسبب تحرج الطالبات، كون الخمرة مازالت لم ترق بعد إلى درجة التدخين من حيث القبول،

إضافة إلى أن النسبة قد لا تكون معبرة مقارنة بنسبة 60% التي تقول بأنها تسهر في الملاهي الليلية، على اعتبار أن السهرات الليلية يكثر فيها التدخين وتناول المواد الكحولية وتخترقها الكثير من السلوكات الانحرافية السوية، كما هو موضح في الجدول التالي.

1- Vernhs Mireille, op.cit, p233.

جدول رقم 04: السهرات الليلية عند العينة المدروسة

هل تسهرين في الملاهي الليلية	التكرارات	النسب
نعم	60	%60
لا	30	%30
بدون إجابة	10	%10
المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتبين أن مثل هذه النسب وإن بدت ضعيفة مقارنة بحجم السلوك المنحرف، إلا أنها تعني التحول الكبير في حياة الفتاة خلال مرحلة حساسة تعرف بمرحلة الشباب، التي من خلالها يمكن نقل العديد من الموروث الثقافي إلى الأجيال، حفاظا على مستقبلية النسق الواحد الذي يتأطر ضمن أنساق أخرى متداخلة من أجل الحفاظ على استمرارية الحضارات.

إن مثل هذه الاختلالات تعبر عن الاختلال النسقي للمجموعات وبالتالي إحداث الرشخ الثقافي المدمر لاستمرارية الجماعة العرفية، بتحويل القيم المكتسبة والموروثة إلى قيم غائبة ومغيبة في الذاكرة الجماعية.

إحداث ما يعرف بطمس للثقافات أمام بروز ثقافة العولمة التي لا تعطي فيها حدودا للحرية الفردية عن طريق إباحة المحظور الذي هو سر الاستهلاك بدون حدود وتكسير المعتقدات الجماعية عملا على الفردنة.

ولأن العلاقات بين الذكر والأنثى هي مطالب مرحلة المراهقة عند الذكور كما لدى الإناث، فإن الطالبة ستشرع في ربط في هذه العلاقة مع هذه المرحلة أو ما بعدها حسب استراتيجيات متعددة، الزواج المستقبلي، المال...إلخ.

ضمن هذا الإطار يمكن توضيح وتمييز نوعين من العلاقات التي تربط الطالبة الجامعية بالذكور الغرباء.

العلاقة الأولى: تمثل العلاقة المزدوجة "ثنائي" التي تتم عن طريق علاقة عاطفية قد تؤدي إلى مشروع زواج أو قد لا تؤدي إلى ذلك (حسب الظروف واستراتيجيات الذكر والأنثى على حد سواء).

العلاقة المتعددة: التي تربط الأنثى (الطالبة) بالذكور في تعددهم والتي يبتغي منها لدى الطالبة المصلحة المادية أو المتعة، فقد عبرت لنا النسبة الموضحة في الجدول عن شيوع مثل هذه العلاقات غير المضبوطة بالقوانين، وهي تعبير عن الاستهتار اللأخلاقي الذي يعاني منه شباب اليوم.

والجدول التالي يوضح نسبة إقامة علاقات عاطفية لدى المجتمع المدروس.

جدول رقم05: العلاقات العاطفية

هل لك علاقات عاطفية	التكرارات	النسب
نعم	96	%96
لا	00	%00
بدون إجابة	04	%04
المجموع	100	%100

حيث نلاحظ من خلال الجدول رقم 05 كيف أن نسبة 96% من المبحوثات عبرن على كون لها علاقات عاطفية، وهي تعبير واضح عن مرحلة الحساسة التي تمر بها الفتاة خلال هذه المرحلة العمرية حيث تتفجر كل الطاقات المكبوتة داخل الذات خاصة تلك المتعلقة بالمسائل العاطفية.

حيث تبحث من خلالها الفتاة على النقيض وهو مقابل الرجل كي تكتمل الحلقة المعبرة عن التوحد بين الرجل والمرأة خارج نطاق الزواج المشروع.

وبالتالي فالعلاقات العاطفية التي قننتها الأديان والأعراف، سيخترقها الذكر كما ستخترقها المرأة وهذا بتأثير داخلي (الغريزة) والفطرة وبتأثير خارجي عن طريق آليات تشجعها جماعة الرفاق أو الإعلام بأنواعه،

إضافة إلى دور التربية في الصغر خاصة بغياب الوازع الديني، غير أن العلاقة العاطفية قد تأخذ بعدا "مجونيا" أو ما يعرف عند عامة الناس (المرأة الخلاطة). والجدول التالي يوضح هذه المسألة.

جدول رقم 06: تعدد العلاقات العاطفية

هل تعددت علاقاتك العاطفية	التكرارات	النسب
نعم	42	%40,32
لا	54	%51,84
بدون إجابة	00	%00
المجموع	96	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم 06 أن نسبة 42% من مجموع 96 حالة على تعدد العلاقات الجنسية، وهذا تعبير آخر على المنحى الجديد في المعتقد الأنثوي لدى الطالبة الجامعية الداخلية.

وهو تقبل سريع من طرف الفتاة المنحدرة من المجموعات السكانية حيث يسيطر العرف والقيم التقليدية والدينية المتمسكة بالقواعد الأخلاقية كتلك

المتشددة في مسألة العلاقات العاطفية خارج المشروع، وهذا باستجابة مباشرة للتحول الاجتماعي والثقافي الذي شكله المقام الجديد (الحي الجامعي).

"فكون العلاقة الجنسية علاقة الإنسانية الأكثر طبيعية، فإن تنظيم العلاقات الجنسية هو الذي يرسي تنظيم العلاقات الإنسانية، في مظهرها الفردي والعاطفي"[1].

غير أن العلاقات الجنسية في المجتمعات العربية مرهونة بالضغوطات والقوانين والتشريعات الاجتماعية الدينية خاصة الشيء الذي يجعل من الأنثى تحت راهنيه الجماعة، حيث تفرض عليها أقصى وأبلغ العقوبات إن هي تجاوزت حدود المسموح لها به من ممارسات دون الذكر.

هذا التناقض الواقع عليها، يشكل لديها ما يعرف بالتمايز على اختلافاته، وأقصى هذه التمايزات "الاستلاب الجنسي" الذي تتقوقع فيه المرأة وكأنها مجرد جسد دون مشاعر، تفرض عليه العديد من القوانين.

غير أن مثل هذه الالتزامات الاجتماعية، أصبحت هي الأخرى مرهونة بالتحولات الاجتماعية التي تحولت من التزامات إلى مجرد قوانين نسبية لا يمكن للفرد الخضوع لها، فأصبحت المرأة بدرايتها الخاصة لما يمكن أن يحدثه "الجسد الأنثوي" في حياتها، إن هي استغلته بطريقتها –على اعتبار أن الجسد الأنثوي هو جسد مؤسسة للهوية الفردية والجماعية–.

وهذا ما يفسر لجوء الطالبة إلى مثل هذا التجاوز لتأكيد هويتها الأنثوية المكبوتة.

1- برنارد مولد وورق، ***دليل المناضل في النظرية الماركسية والمسائل الجنسية عند المرأة***، ترجمة عبد الله اسكندر، دار ابن خلدون، لبنان، 1975، ص27.

إن مثل هذه الطروحات ولدت هاجسا داخليا لدى المرأة العربية حيث اعتمدت على مثل هذه الأفكار واعتبرتها فلسفة حياة أو عيش، يمكنها أن تفرض بها وجودا وتؤسس لها كيانا رافضتا للقيود المتمثلة في اعتبار هذه القيم المفروضة عليها قيدا ، وإن كانت مثل هذه الفلسفات لا تنطبق على واقع مجتمعاتنا كما أشار إلى ذلك فرويد.

يبدو واضحا أن الحياة الجنسية تفرض منطقا خاصا في تركيب الذهنيات المجتمعية كحتمية حضارية انبتت على قاعدة ما يعرف في الطرح الفرويدي بالكبت الجنسي، أو ما يعرف بالطرح النفسي بالكبت الغريزي أي كبت الغريزية الجنسية.

من أجل تحقيق ما يعرف بالرقي الحضاري، حيث يرى فرويد أن التسامي بالحياة الثقافية مرهون بمسألة الكبت الجنسي والصد ألغرائزي لدى الإنسان، وهناك من انتقد هذه الفكرة وقال عكس ذلك.

إن مسألة التسامي بالحياة الجنسية فرض هو الآخر منطق صراع فكري بين من أيد فكرة الكبح ومن قال بفكرة التحرر الجنسي.

فما هو وارد من أفكار لدى الغربيين حول المسألة الجنسية، قد لا ينطبق على طبيعة المجتمعات العربية، التي تمثل هي الأخرى نمط حياة ثقافي وتاريخي وعقائدي مغاير ومختلف عما هي عليه المجتمعات الغربية.

وعليه فإن المخيال العربي قد تشكل انطلاقا من التمثلات الهوياتية التي أسستها كل التحولات التاريخية لاسيما مجيء الإسلام، حيث بدى الضبط الأولي واضحا في تنظيم الحياة الجنسية.

كمنطلق أخلاقي أول تتبنى عليه الفلسفة الدينية الجديدة التي أعطت بهذا التغيير وجها آخر للمجتمع العربي وإخراجه من مرحلة ظل فيها الجنس مسيطرا عليها. والأحكام القيمية المرتبطة به ملازما للمجتمع "الجاهلي" دون أن يكون هذا المجتمع "منحلا" أخلاقيا كما قد يبدو، ومنه يمكن تفسير أصل الحديث النبوي "حيث لا تتم مكارم الأخلاق".

فللجسد وجود، ولهذا الوجود اعتبار، ولهذا الاعتبار تفسير، عن هذا التفسير الذي يجعل من الجسد ملكية خاصة لدى المرأة تتصرف فيه برغبة منها وحرية.

يقول كولن ويلسن: "عندما يفلت الجسد ويعبر عن طاقاته ورغباته بحرية، يفلت الإنسان من التسلط والقهر، ولذلك فالمرأة حين تتمرد، فإنها تفعل ذلك أساسا من خلال إعطاء نفسها حرية التصرف بجسدها جنسيا في المقام الأول"[1]. فهو بهذا يربط بين التسلط والتحرر، وفي مقدمتها التحرر من عتق الجسد.

وللجسد في الطرح الفكري تفسيرات كثيرة ومتنوعة بين القائلة بمكانته وقدسيته، والقائلة بخصوصيته التقزيمية المشكلة للجسد الأنثوي في كونها أنثى وفقط.

هذه الطروحات بينت المعنى القيمي لهذا الجسد، ويتضح ذلك من خلال دراسات أنثروبولوجيا الجسد.

1- كولن ويلسن، ***أصول الدافع الجنسي***، ترجمة يوسف شرورو، سمير كتاب، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة 2، سنة 1972، ص225.

لقد أعطى علماء الاجتماع اهتماما واضحا لأهمية الجسد وعلاقته بالمحيط الاجتماعي منها (Durkheim) (Robert Herts)، هذا الآخر اهتم بالجانب الرمزي المتعلق بأبعاد الجسد الإنساني، إضافة إلى(Marcel Mauss) الذي اهتم بالعمليات والميكانيزمات التي يتحول عن طريقها الجسد الإنساني إلى معنى مجسد من صنع الإنسان عن طريق إظهار أساليب للتعبير عن عمليات التعلم والتدريب من خلال الجسد[1].

اكتشف (Michel Foucault) ميشيل فوكوا نصا لاتينيا يعود للقرن الثاني الميلادي أطلق عليه "منهج ارتيميدورس Arthémidore"، هذا النص يتفحص ويقيم مختلف أشكال الأفعال الجنسية مع بذل نصائح سلوكية انطلاقا من هذا النص، صاغ تعبير "الانشغال بالذات، للإشارة إلى بروز "فردانية تعلي شأن المظاهر الخاصة للوجود" وتستند إلى "أخلاقيات صارمة وشخصية"[2].

نجد هذا واضحا لدى الحضارات القديمة الصينية والهندسية والفارسية وأيضا العربية من خلال مؤلفات حول جسد المرأة والممارسة الجنسية (الثقافة الجنسية لدى الغرب) منها على سبيل المثال كتاب "الروض العاطر من نزهة الخاطر" للشيخ النفزاوي الذي كتب على أيام عهده "دولة الحفصيين في تونس" وكتابه الأول "تنويع الوقاع في أسرار الجماع" الذي يشير إليه مؤلفه في كتابه الأول "الروض العاطر".

1- حسين محمد محمد مها، ***العذرية والثقافة***، دراسة في أنثروبولوجيا الجسد خطة بحث لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، إشراف د.فاروق محمد العادلي، د.نبيل صبحي حنا، ص1.

2- كلود دوبار، ***أزمة الهوية***، ترجمة رندة بغث، المكتبة الشرقية، ط1، 2008، ص65.

وعليه فالجنس والجسد الأنثوي قد حظى تاريخيا باهتمام المؤرخين والبحاثة، ولم يكن الدين يوما عائقا ولا "متسلطا" إلا من باب الخوف من أن "تشيع الفاحشة" أي أن يتحول الجنس والجسد إلى "ممارسة عامة" وإلى "تجارة" (الدعارة).

فالجسد الأنثوي هو جسد له حرمته ومكانته وحتى قدسيته، قد تختلف بحسب المجتمعات ونظرتها للجسد، فهناك من ترى أن الجسد كله مقدس دون تخصيص أي جزء عن الآخر، كما جاء ذلك في الأديان السماوية، وهناك من تختزل هذا الفضاء المقدس في أصغر جزء منه وهو عذرية المرأة وفقط.

وبذلك فإن نظرة المجتمعات "لقدسية" الجسد الأنثوي توضح القيمة الفعلية التي توليها الأنساق على اختلافها للجسد الأنثوي. حيث أن أي اختراق لهذا الفضاء، يعد تدنيسا وانتهاكا لحرمة المجموعات العرفية، باعتبار أن شرف الأنثى متعلق بالصفاء والطهارة والعفة.

كما أن الشرف كمفهوم وكممارسة يطرح على مستويات متناقصة بين نمط التفكير التقليدي ونمط التفكير الحديث، حيث يظهر ذلك جليا في أنثروبولوجيا الشرف[1](Anthropologie de l'honneur) وفي كتاب (Ghallagher, Charrad, Bourquia) في كتاب[2](Femme,culture et société au Maghreb).

إن إشكالية الشرف، مرتبطة بطبيعة المجتمعات التاريخية منها والثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وحتى العرقية. غير أنه واضح في المجتمعات العربية كما في غيرها من مناطق المعمورة.

1- Jullian Pitt Rivers , ***Anthropologie de l'honneur***, la mésaventure de sichem, ed le sycomore 1983, Paris

2-Ghallagher, Charrad, Bourquia, ***Femme,culture et société au Maghreb***, ed afrique-orient,1996,tome 01 Casablanca

أن الشرف يرتبط دائما بالقيمة الفعلية التي تبديها المرأة منذ ولادتها وبروزها ضمن الجماعة العرفية. لذا حددت عند معظم الأعراف مكانة المرأة الدونية أمام الرجل، ومنها أبدى الرجل سلطته الفعلية عليها كونها تابعة له، وهذا ما أسهب في تحليله وشرحه(Pierre Bourdieu) في كتابه[1](la domination masculaine) انطلاقا من الدراسة الميدانية التي أجراها حول منطقة القبائل الكبرى.

توقيف السيارات*:

جدول رقم07:

هل تمارسين توقيف السيارات	التكرارات	النسب
نعم	44	%44
لا	35	%35
بدون إجابة	21	%21
المجموع	100	%100

تبين لنا النسب المتوصل إليها أن 44% من المبحوثات يمارسن، ظاهرة توقيف السيارات، وهو تعبير صريح عن مدى الاندفاع غير المحسوب للعواقب التي تلي مثل هذه الممارسات من اعتداءات بكل الأشكال (جسدية وجنسية، سرقات، ضرب مساومات...).

وهذا مقابل نسبة 35% ممن أجبن بالسلب فيما عبرت نسبة 21% منهن عن الممتنعات، من خلال المعطيات المتوصل إليها يمكننا استنتاج الأفكار التالية:

1- Pierre Bourdieu, ***domination masculine***, ed Seuil, Paris, 1998

*يبدو من خلال النتائج المتوصل إليها في الماجستير ونتائج الدكتوراه نوع من التقارب ، قد يعود هذا التقارب الى تتابع سنوات البحث الميداني حيث خلصنا في نتائج الماجستير إلى النسب التالية (التدخين67%، السهرات الليلية 94% المحذرات 25% ، تناول الخمرة 28%، توقيف السيارات 72%، العلاقات العاطفية 94%).

– تعود الطالبات الجامعيات إلى مثل هذه الممارسات من أجل إشباع رغبات داخلية متمثلة في محاولة اكتشاف العالم الجديد الذي انضمت إليه مؤخرا بأسرع الطرق وأقلها تكلفة.

– تتأثر الطالبة بحكايات الطالبات من خلال الاستماع إلى مجازفاتهن والتأثر بهن خاصة إذا كان في الحكايات نوع من الإغراءات المتمثلة في الاكتشافات الجديدة والعلاقات الجديدة والفرص التي قد تحصل عليها الفتاة إذا كانت ذكية في استدراج الرجال.

إضافة إلى إمكانية حصولها على المال أو الحصول على صداقة الرجال خاصة للتي ليس لها صديق، حيث يساعد في تنامي هذا الشعور وتقوية فاعليته بغياب الرقابة الأسرية كما أن أوقات الفراغ التي تقضيها الطالبة داخل الحي بغياب مرافق الترفيه وإن وجدت في بعض الأحياء فإنها لا تفي بالغرض.

– من خلال ممارسة توقيف السيارات، تتمكن الطالبة من اكتشاف أمور تبهرها تجعلها تشعر بمدى وشساعة الهوة بين واقعها الاجتماعي والواقع الخارجي "الإغرائي" وبالتالي تبني أفكار ومواقف أخرى تتعارض والمنطق القديم الذي كانت تؤمن به.

– مثل هذه الممارسات قد تدخل الفتاة عالم الاحترافية، كأن تمتهن مهنة الوساطة بين الفتيات والرجال، وقد يساعد في ذلك استعمال الهاتف المحمول.

وبالتالي تتبنى الطالبة بعض الاستراتجيات الجديدة في حياتها وحيات الأخريات اللائي ستؤثر عليهن. وفي هذا قد يكون لعنصر الشخصية حضور بارز حسب الميولات الشخصية فهناك من تجرب وتمتنع، لأنها لا تجد

رغبتها ولا ضالتها في توقيف السيارات وبالتالي تمتنع مقابل التي تكرر التجربة لأن رغبتها وميولاتها كلها موجودة في مثل هذه الممارسات.

هذه النتائج المتوصل إليها لها تفاسير كثيرة نورد منها على سبيل المثال أن المرأة تعود إلى مثل هذه الممارسات استجابة للنزوات الداخلية التي ظلت مع الوقت رهينة الضبط الاجتماعي الممارس عليها في ظل الأسرة التي كانت تتحكم في توجيه سلوك الأطفال وان اختلفت الأساليب.

ذلك أنه بمجرد رفع الرقابة الأسرية، تجد الفتاة تبحث عن اغتنام الفرص في الاندفاع وراء المشاعر والأحاسيس الداخلية وهي في ذات الوقت تعبير عن شخصية الفرد الميالة إلى ممارسات كهذه.

وهذا مقابل فئة أخرى، نجدها رغم الإغراءات والمساومات إلا أنها تبقى محافظة على مسألة الشعور بالانتماء إلى الجماعة. فعدم تقبل مثل هذه الممارسات، دليل أخر على الميولات الشخصية التي يؤمن بها الفرد انطلاقا من القناعات الشخصية التي يدافع عليها بأساليب مختلفة.

وبالتالي يجد الباحث نفسه أمام توجه أخر في البحث المتعلق جوهريا بالجانب النفسي في مثل هذه الأبحاث كتحليل شخصية المبحوث (شخصية ضعيفة وما هي مؤشراتها، شخصية قوية وما هي مؤشراتها) .

إضافة إلى أن النتائج، بينت لنا واقع التناقضات التي تعاني منها المرأة والذي سيفرض طابعا جديدا من العلاقات المتوقعة والتي ستكون مشتركة بين أفراد المجتمع وبالتالي إنتاج أشكالا حياتية جديدة تناقض وتصارع القيم الأخلاقية والجمالية التي كان ومزال يتمتع بها المجتمع العرفي.

الفصـــــل الثاني

دور الجامعـــة في التنميـــة البشريـــة

1. دور التعليم في ترسيخ القيم
2. الجامعة والتعليم
3. عملية التنمية في القطاع
4. الجامعة الجزائرية
5. الجامعة والمحيط
6. علاقة الانحراف بالتخصص
7. الحي الجامعي كفضاء جديد.
8. ما يحدث داخل الحي الجامعي

يعبر التعليم عن إستراتيجية المجتمعات الجادة في النهوض بالحياة بكل أبعادها المهيكلة للعملية البنائية فيها، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالقيم النبيلة التي يتحصل عليها الأفراد من العملية التعليمية عبر المراحل التكوينية.

المرحلة الجامعية تعكس لنا مدى قدرات الفرد ورغبته في مواصلة حياته العلمية من أجل الحصول على ما هو أسمى وأرقى في الحياة، تعطشا ورغبة في تحسين المستوى العلمي وبالتالي الثقافي الذي يتصدر من خلاله مستويات الرفعة في الرتب الاجتماعية والوظيفية.

التواصل العلمي بقدسية المفهوم لدى الأطياف الاجتماعية يبرهن لنا عن مدى التقدم الذي تحرزه الإنسانية مع الزمن.

فتقدم المجتمعات وتحديد مكانتها وتفسير أدائها العلمي والوظيفي وتحقيق مستويات التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي مرهون دائما بطبيعة العملية التعليمية. ومدى نجاعتها في المجتمعات التي تبحث مع الوقت عن إيجاد استراتيجيات جديدة متعلقة بتحسين الأداء البيداغوجي والعلمي داخل المؤسسات التعليمية، في كل الأطوار على اختلاف المراحل، ومحاولة ربط المجال العلمي بالمجال المهني، من أجل الوقوف على ما يعرف بالنهوض بالمجتمعات اقتصاديا وسياسيا.

لقد ساعد هذا المنطق الاجتهادي لدى المجتمعات، من محاولة أحداث منافسات عالمية كبيرة كان أبرزها الوصول إلى الريادة العالمية بامتلاك احدث الوسائل التكنولوجية والعلمية وبالتالي السيطرة على المعمورة دون أن تجد لذالك منافسا.

فالهيمنة العلمية التي تعيش تحت وطئتها الدول العربية تفسر لنا الواقع العلمي الذي تعانيه أمام امتلاك الغرب للعقول العلمية، بينما أصبحت الدول العربية تبحث مع الوقت بكل الأساليب التعليمية المتبعة، عن وسائل متعلقة بالحفاظ على النسق الثقافي. من أجل الحفاظ على الأصالة العربية خاصة وأن معظم البرامج التعليمية المتبعة مرهونة بالنموذج الاستعماري الذي فرض عليها عبر الحقب التاريخية.

حيث أسس الغرب لوجوده بترك وغرس النمط الغربي خاصة في البرامج التعليمية الجامعية لتجد الدول العربية بعدها تابعة لهذا النموذج في صراع متناقض بين ما يعرف بصراع الأصالة والمعاصرة في فضاء متناقض.

فالجامعة بما لها من دور منوط بها في نقل التراث للأجيال عبر القنوات الفرعية المتمثلة في مختلف التخصصات الأدبية والعلمية والتقنية، هي في ذات الوقت تعبير عن مسيرات الشعوب الإصلاحية لمختلف النواحي السياسية والاقتصادية، والثقافية، التاريخية.

"لكن السؤال المرتبط بهذا المجال هل الجامعة العربية بوجه عام والجامعة الجزائرية بوجه خاص؟ تؤدي دورها الإصلاحي والريادي في المسائل المتعلقة بإعداد الطلاب للتصدي مستقبلا للحتميات المهنية –يعني تكوين كفاءات فعلية مرتبطة بسوق العمل– من جهة ولحتمية الحفاظ على النمط التقليدي للتشكيلة الاجتماعية في بعدها الثقافي والتاريخي من أجل

الحفاء على قيم الأصالة العربية لمجابهة الموجة الغربية الحاملة حاليا لقيم العولمة والعالمية؟!"[1]

فالتعليم يعتبر المجال الجاد الذي تكتشف من خلاله طاقات وقدرات الأفراد، وهو المجال الذي يفتح آفاق الأفراد نحو الانفتاح وتطوير المجتمع، لذا تحاول المجتمعات جاهدة البحث عن إستراتيجية تعليمية صارمة تتوافق وطبيعة كل نسق من أجل تحقيق النهضة العلمية بكل مستوياتها.

فتقدم المجتمعات مرتبط بطبيعة العملية التعليمية، التي تبحث جاهدة عن إستراتيجية تحسين الأداء البيداغوجي ويكون ذلك من خلال محاولات الفهم الجاد من طرف المتخصصين في تعديل وتصحيح البرامج التعليمية خلال السنوات، من أجل توفيق المجال العلمي مع المجال المهني حسب متغيرات الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

والجامعة باعتبارها آخر حلقة من مراحل التكوين التعليمي للفرد تأثرت على غرار المراحل التعليمية الأخرى بمراحل الإصلاح والتعديل، حتى يتوافق ذلك مع متطلبات سوق العمل.

هذا الفضاء التعليمي العالي بكل ما تحمله دلالات المصطلح من معنى يعتبر فضاء تتفجر فيه الطاقات العلمية والمكبوتات الذاتية، تحقق للفرد مكانة الشعور بالوجود وتحقيق هذا الوجود.

1- من أجل توسيع الرؤية، أنظر محمد السيد سليم، ***الجامعات العربية وظاهرة التبعية العلمية***، المستقبل العربي، عدد4، وهناك أطروحة للأستاذ عبد القادر بن الشيخ حول هيمنة الإنتاج الثقافي العربي على السوق المحلية.

- Abdelkadeure Bencheike,***Pouvoir, lire, éducation et développement***, thèse d'état, Université BordeauIII, 1977-1978, 3 tomes.

على ضوء هذه الرؤية حاولنا في هذا الجزء من الدراسة إحداث مقاربة بين مؤثرات الفضاء الجامعي وتوجيه السلوك الفردي نحو "الانحراف" وما علاقة ذلك؟ من خلال علاقة الفضاء "الحي الجامعي"، ومجال كل تخصص في توجيه سلوك الفرد نحو "الانحراف".

1- دور التعليم في ترسيخ القيم

دور العلم ريادي في الحفاظ على الموروث الثقافي وبالتالي الحفاظ على استمرار الوجود الإنساني، فالفضاء العلمي ترسم وفقه الأصول الأساسية المعبرة عن الكيان الاجتماعي بخصائصه المختلفة عن المجموعات الأخرى.

وبالتالي يبدو الواقع العلمي حاملا لأنماط المجتمعات من اجل تحسين مستوى الشعوب والنهوض بالأمم بنوع من التناسق والتناغم بين أبنية المجتمع.

إن راهنيه العلم مرتبطة بعنصر الأخلاق، فالحفاظ على النمط الثقافي للجماعات هو أساس استمراريتها المرهونة بالحدود الأخلاقية والقيمية التي يعبر عليها المجال العلمي ضمن إطار التنمية البشرية.

فيكون ذلك من خلال الإستراتيجية التي تحددها الشعوب في قالب نهضوي مكافح، خاصة بعد اكتساح العولمة كل المجالات الحياتية لان قوة الشعوب ستكون مستلهمة من قوتها العلمية التي تمتلكها.

2- الجامعة والتعليم

"إن التعليم هو مصدر إلهام والمؤثر في غرس القيم والمبادئ التي تلتزم بها المجتمعات عبر التاريخ، فالعلم كما يقول أحد كتاب المستقبل المعاصرين شيء جليل، إذ أنه تحقيق لذات الإنسان بصفته إنسانا، وهو لا يمكن إلا أن يكون خيرا، وبركة، أما تطبيقات العلم فهي التي تحتمل أن توصف بأنها مسؤولية أو غير مسئولة، والسياق الذي يمكن لهذه الصفات أن تكتسب فيه مصداقيتها هو الذي اصطلحنا على تسميته بمورو ثنا الثقافي "الحكمة"، يضاف إليه عنصر الأخلاق هذا العنصر يخشى عليه من الضياع في الثقافة العلمانية الغالبة على حضارة عصرنا الحاضر"[1].

فللجامعة دور تعليميي بارز في نهضة المجتمعات؛ إن الأداء التعليمي فيها مرهون في معظم الأحيان بالرهانات الإيديولوجية لمختلف الأنساق، وبالتالي فالحجم المعياري لهذا الوجود "أي الجامعة" وما يمكن أن تحدثه هو مصدر قلق وجدل لدى الأطراف الحكومية والسياسية، كون الوضعية التعليمية في الجامعة تدور في حلقات اهتمام ضمن البرامج السياسية بالدرجة الأولى.

والاهتمام بهذا الفضاء بارز من خلال الباحثين والسياسيين، إذ نجد مشاريع بحثية جادة تنكب على دراسة جميع جوانب الفضاء الجامعي وما يمكن أن يحدثه من تأثير وتأثر، كالدراسات المتعلقة بمسألة التنمية في المجال الجامعي، إشكالية النوع ومخلفات ذلك على نمطية المجتمع. مسألة التخصصات.

1- ثاراجونا فديريكو مايو، ***نظرة في مستقبل البشرية***، ترجمة محمود علي مكي، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ص213. عن عبد الرحمن بن صالح المشيقح، مرجع سابق، ص100-101.

"فالحاجة للجامعة حتمية إلزامية لا مناص منها، وقد اعتبر (الجرباوي 1986) حاجة المجتمع للجامعة مبررا لوجودها حيث قال: "إن الجامعات لا تعبر عن شرف أكاديمي أو مادي وإنما الداعي لوجودها هو حاجة المجتمع لها"[1].

إضافة إلى ذلك تعتبر الجامعة الوعاء الحافظ للموروث الثقافي الأصيل ونقله إلى الأجيال يكون من خلال أحداث آلية مبرمجة ضمن آفاق ومشاريع المقاييس والتخصصات؛ ومنها فتح باب الاستثمار في المجال التعليمي كأساس إصلاحي جديد للنهوض بالقطاع وتحسين الأداء فيه.

حيث للتعليم أدورا عظمى في الحفاظ على الموروث الثقافي والأخلاقي التي تؤهل بدورها الفرد إلى سوق عمل قائم على الفضيلة والأخلاق، فجوهر التعليم النهوض بالأمم والتقدم من أجل إصلاح أحوال الشعوب ولا يمكن أن يكون تناسق وتناغم وانسجام بين أنساق وبنيات المجتمع إلا بوجود أخلاق تضبط العلاقات الاجتماعية.

"أدرك لينين هذه العلاقة القائمة بين التنمية والعلم فعهد إلى زوجته "كروبسكايا" منذ 1915 بالتفكير في وضع إستراتيجية الخبرة في المجتمع الاشتراكي وقد نشر هذا المشروع بعد الثورة التعليم القومي والديمقراطية، وقد ألحت في هذا الكتاب على أهمية بناء الإنسان عقلا وخلقا، فبالتعليم والمعرفة يمكن أن نروض المادة، ونقهر العالم الأكبر والأصغر، ونضع الدعائم الباقية للمجتمع"[2].

1- Scholar.najah.edu/…/role-university-communitys le 25/02/2009 .

2- محمد العربي ولد خليفة، ***المفاهيم الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية***، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص179.

3- عملية التنمية في القطاع

والجامعة آلية من آليات تحريك العلم نحو نمطية التقدم والازدهار، وعلى صعيدها الاجتماعي تعتبر الرائدة في حمل آفاق الأمم نحو ما تصبوا إليه من تطور علمي وتكنولوجي بناء له صلة مباشرة بالعقول البشرية من الطبيعة الاجتماعية نفسها.

وللجامعة أدوار مهمة في المجتمع فهي المسئولة بشكل أو بآخر في ازدهار أو تدهور الوضع العلمي والتكنولوجي في المجتمعات، ولما هو منوط بها من أدوار إيجابية تسعى الحكومات والدول إلى الحفاظ على هذا القطاع شكلا ومضمونا.

فعلى عاتق الجامعة تسقط مسؤولية توصيل الأفراد بالمعرفة الإنسانية بأشكالها التطبيعية والأدبية في جو مناسب من أجل تحقيق تنمية حقيقية في المجتمعات.

إذ ينبغي أن تعمل التربية والتعليم الجامعي على إيصال الطالب إلى كل ما ينبض في قلب الأمة من مطامح وآمال، ولا شيء يفضل الالتقاء بذلك الحس المشترك والتراث الجماعي بواسطة ما يدرسه من علوم طبيعية واجتماعية وإنسانية، وتمكين جيله من القيام بدوره في حمل مشعل الثقافة وتنمية الذخيرة الوطنية من التراث[1].

1- M.B. ***Freedem, impact of college new dimension in higher education*** ,1960 in محمد العربي ولد خليفة، مرجع سابق، ص185.

إذ تتصدر التربية والتعليم اهتمام الناشطين في المجتمعات من أجل نهضة الشعوب والتسامي بالمعطيات الاستكشافية وتسخيرها لخدمة الإنسانية وتسهيل سبل العيش ومحاولة أقلمة ذلك مع كل التحديات التي تعيشها الإنسانية منذ الأمد البعيد.

"إن جامعاتنا هي ظواهر ثقافية أفرزها مشروع التنوير ووجدته فيها الدولة الحديثة أداة نموذجية لترتيب بنيتها الخاصة، نحن نعلم ونتعلم في جامعات لم تقم على تبرير ميتافيزيقي داخلي لنفسها، وذلك يعني عندنا أن العرب قد انتقلوا من نطاق الجامع إلى أفق الجامعة دون إيضاح أصيل للحاجة الروحية لهذا الانتقال،هل كان ظهور الجامعة عندنا استجابة لنماء داخلي لروح الثقافة العربية؟ أم هو نتيجة عنيفة لإرادة تاريخية لتغيير وجهة هذه الروح"[1].

"إن معنى التوجيه في الفكر في أفق ملة فقدت علمها الخاص بنفسها هو تبديل القبلة التاريخية للسلوك النظري من وجهة علوم الملة إلى أفق الاستشكال الاستراتيجي لمعنى العصر، أي لمعنى الحداثة إن علينا أن نتوجه في الفكر في معنى التوجه في العصر، إن الملة مقام لم يعد لأحد، إلا عرضا وهذا ليس موقفا خاصا بنا، بل هو وضع أنطولوجي مشترك بين الثقافات الأساسية للإنسانية الحالية"[2].

1- فتحي المسكيني، ***الهوية والزمان***، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، دار الطباعة، بيروت، 1998، ص160.
2- نفس المرجع، ص 161.

4- الجامعة الجزائرية

تأثرت الجامعة الجزائرية بالمسار التاريخي الاستعماري الذي فرض عليها نمطا خاصا أساسه الصراع القائم بين التيار الفرونكفوني وتيار أنصار اللغة العربية منذ التواجد الفرنسي في الجزائر، الذي حاول جاهدا وبكل الطرق طمس المقومات الأساسية للثقافة الجزائرية.

وحاول الاستعمار الفرنسي بشتى الطرق فرض سياسة تعليمية خاصة أساسها التمييز للذين يلتحقون بالنظام التعليمي الفرنسي الذي كان سائدا آنذاك، أمام غياب مؤسسات التعليم الجزائري بالشكل الرسمي وانحصارها في الكتَّاب بتعليم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية فقط، دون فتح المجال أمام التوسعات العلمية التي تتميز بها المؤسسات الرسمية، بتعدد التخصصات والتوجهات.

حاول الاستعمار الفرنسي أمام مساومات مختلفة وصراعات فكرية حادة، بين القيادات الاستعمارية في السماح للجزائريين بالالتحاق بالمؤسسات التعليمية الاستعمارية.

بشروط صارمة لا تسمح إلا لعدد محدود جدا بالالتحاق بمؤسساتها، خوفا من إنتاج نخبة مثقفة جزائرية واعية ستقود الثورة فيما بعد.

في حين رأت مجموعة أخرى داعية للاندماج. بالسماح للجزائريين للالتحاق بالمؤسسات الاستعمارية من أجل تحقيق مطلب الإدماج. وبالتالي حق التجنيس "La naturalisation".

أثرت السياسة الاستعمارية في الثقافة الشعبية الجزائرية الأصلية حيث وجد الشاب الجزائري نفسه في صراع واضح أمام الثقافة المحلية والثقافة

الغربية، عن المجتمع الأصلي والمختلفة عليه جذريا بما تحمله من أفكار ومعتقدات وسياسات.

هذا الوضع أنتج الكثير من الاختلافات التي أحدثت الهوة بين الطبقة المتعلمة في المؤسسات الاستعمارية مقابل الطبقة المتعلمة في المؤسسة المحلية، وأنتج هذا النموذج صراعا واضحا بين الحداثة والتقليد وبين "المفرنسين" و"المعربين".

بعد الاستقلال مباشرة، شكل النموذج الفرنسي تواجدا واسعا بسبب السياسيات المعمول بها. في استمرار النموذج الفرنسي كنهج أساسي في التعليم العالي الجزائري، بموجب اتفاقيات إيفيان .Evian [1]

بعد مرحلة كانت حاسمة في تاريخ الجزائر، حاول العديد من المثقفين إحداث إصلاحات في النظام التعليمي الجزائري، من بينها فكرة تعريب الجامعة، وقد لقي هذا المطلب صراعا حادا بين التيارين، فكانت مراحل التعبير مختلفة.

بداية من عام 1966 إلى 1971، أين كان مطلب التعريب واضحا وساري المفعول خاصة في التخصصات التي تتطلب التكوين باللغة العربية كالتاريخ مثلا.

فقد حملت حركة الإصلاحات في الجامعة الجزائرية الكثير من التغيرات من بينها ارتفاع عدد المسجلين، تنوع في التخصصات، ارتفاع عدد الإناث.

1- Ramaoun Hassan, **Université comme produit de l'histoire**, in insaniyat, n°06, Septembre-décembre, 1998, p56.

5- الجامعة والمحيط

في ظل التحولات البنيوية العميقة التي يشهدها المجتمع الجزائري ابتداء بإعادة هيكلة البنية الاقتصادية، ومراجعة أساليب التنظيم والإدارة ضمن توجه عام لبناء اقتصاد السوق.

"وفي ضوء التعددية السياسية التي تطرح إشكالية طبيعة نظام الحكم وممارسة السلطة، نجد الجامعة كإحدى أهم المؤسسات الاجتماعية في مواجهة تحديات قوية تفرض علها المراجعة الجذرية لهيكلها وتنظيمها في إطار صيرورة عامة لإعادة تحديد دورها وعلاقتها بالمحيط"[1].

على ضوء هذا الطرح الذي تقدم به "العنصر العياشي"، ومن خلال المعاينة الميدانية، بدى لنا الكثير من الأسئلة المطرحة التي تدور حول دور السلطات، في "تلطيف" محيط الجامعة،

وجعله مكانا لائقا يمكن الطالب من الإحساس بالانتماء، لا بالإحساس الذي ولد لدى الكثيرين خيبة أمل جعلتهم يدخلون في صراعات أثرت على مسارهم التعليمي في معظم الأحيان.

إن معظم الدراسات التي تناولت موضوع البحث في الجامعات العربية، بينت أن "الجامعة" كانت امتدادا ليس للمؤسسات التعليمية "التقليدية" (ما عدا حالة الأزهر بمصر الذي تطور جنبا إلى جنب مع جامعة القاهرة) وإنما للأنماط التربوية السائدة خاصة بالمغرب، لكن مع ذلك لا نلمس بما فيه

1- عنصر العياشي، ***الجامعة اليوم*** (أعمال ندوة)، منشورات مركز البحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، وهران ماي 1998، ص11.

الكفاية المحددات الاجتماعية والسياسية التي كانت الأرضية الصلبة التي سار عليها مثل هذا التطور[1].

فالدراسة الهامة التي قام بها J.J.Wardenburg عن "الجامعات في العالم العربي الحديث"[2] لا تتوقف بما فيه الكفاية عند الظروف التاريخية والاجتماعية الخاصة بكل بلد.

6- علاقة الانحراف بالتخصص

يسير المخطط التوجيهي في الجامعة الجزائرية وفق المعدلات المحصل عليها في امتحان البكالوريا، وحسب طبيعة الشعبة في المرحلة الثانوية، كما أن هذا التوجيه أريد منه تحسين مردود الجامعة، لأنه يسعى إلى وضع الطالب المناسب في المكان الذي يستجيب لمؤهلاته اعتمادا على نتائجه في الدراسية أي بصفة "محايدة"[3].

وللتخصصات دور كبير في تفسير سلوك الأفراد، وهي مرتبطة بالظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية، من خلال هذا العرض سنحاول إيجاد تفسير لعلاقة الانحراف بمؤشر التخصص.

1- محمد باشوش، ***مساهمة في دراسة وظائف الجامعة التونسية***، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، الجامعة التونسية سنة 1985، العدد 81/80، ص5.

2- J.J.Wardenburg, ***les universités dans le monde arabe actuel***, Documentation et essai d'interprétation, 2 vol, Paris, la Haye-Mouton, 1966 in المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية مرجع سابق

3- نفس المرجع، ص23.

الجدول رقم 08: توزيع عينة المجتمع المدروس حسب التخصصات

التخصصات	التكرارات	النسب
التخصصات الأدبية	70	%70
التخصصات العلمية	24	%24
التخصصات التقنية	06	%06
المجموع	100	%100

من خلال معطيات الدراسة تبين لنا أن للتخصصات دور كبير في توجيه السلوك الانحرافي حيث عبرت نسبة 70% من قائمة المنحرفات ضمن التخصصات الأدبية، بمفارقة كبيرة عن التخصصات العلمية والتقنية.

هذا يعني أن "الانحراف" مرتبط بطبيعة التخصص، وبالتالي يمكننا تفسير ذلك بكون التخصصات الأدبية لا تفرض نوعا من الالتزام المكثف في البرامج، ما يوفر وقتا من الفراغ يجعل الطالبة عرضة للتأثر السريع بمغريات الطالبات الأخريات من زمرة المنحرفات.

إضافة إلى كون التخصصات الأدبية تعطي طابعا نوعا ما شاعريا وعاطفيا، في مرحلة حساسة من العمر التي نعني بها سن المراهقة، تجعل هذه الأحوال الطالبة فريسة سهلة للانقياد وراء الأهواء، والممارسات العفوية المرتبطة بالتعبير عن المشاعر العاطفية والانفعالات النفسية.

للانقياد وراء التقليد وحب الاكتشاف تجد فيه الطالبة ظالة الممارسات العفوية ودون قيد مفروض عليها، تجد نفسها ضمن قائمة المنحرفات بقصد أو من غير قصد.

في حين عبرت نسبة 24% من التخصصات العلمية، وإن كانت نسبة منخفضة مقارنة بالتخصصات الأدبية، إلا أنها تعطينا تفسيرا آخرا –غير التفسير المرتبط بالفراغ وطبيعة البرامج– وهو كون السلوك الانحرافي، سلوك متأصل من الذات نفسها الميالة أحيانا لممارسات كانت مضغوطة على عدم ممارستها عندما كانت ضمن الأجواء الأسرية.

وبالتالي فالسلوك الانحرافي عند هذه العينة هو سلوك تلقائي لم يضبطه حتى نوع التخصص. ونفس التفسير مرتبط بالتخصصات التقنية التي عبرت عليها نسبة 06%.

7- الحي الجامعي

الحي الجامعي هو فضاء محدد المكان، ترسم في داخله مجمل المعتقدات، التصورات والممارسات الاجتماعية لمناطق مختلفة، تعبر عن جوهر المجتمع الحاصل لأشكال قيم وعادات تترسخ عند الفرد منذ الصغر.

يحملها معه عبر مراحل حياته التنشئوية، ويحاول من خلالها التأقلم مع الظروف الاجتماعية الجديدة التي تصادفه في حياته، فيحاول الفرد أقلمت ذلك –الموروث– مع معطيات الحداثة.

ويظهر ذلك جليا داخل الأحياء الجامعية، عندما يلتقي الأفراد من مناطق مختلفة من المجتمع ويحاولون أن يدخلوا في علاقات اتصالية فيما بينهم والتأقلم مع الجديد.

فيفرز عن ذلك قيما جديدة تكون معبرة عن هذه الازدواجية وأحيانا أخرى تعبر عن الانسلاخ التام، ويظهر هذا كله في طريقة الكلام، اللباس، التفكير، وأحيانا أخرى حتى المعتقدات، فينتج عن هذا الصراع قيم بين الحديث والقديم المكتسب والموروث.

فالحي الجامعي هو المكان الذي تتمظهر فيه كل الرغبات والطموحات الشخصية البعيدة عن كل قيد أو مراقبة، تراعي فيه شروط ومقاييس علمية وصحية (الحصول على شهادة البكالوريا، المتحصل عليها آت من منطقة بعيدة، أن لا يكون مريضا بمرض خطير أو معد).

في حين أن الهدف هو واحد، تمكين الفرد من الحصول على مكان إقامة في الجامعة التي سيواصل فيها تكوينه العلمي، وعليه سمي الحي الجامعي بالحرم الجامعي للدلالة على قدسية المكان(la sacralité de l'espace).

والحي الجامعي على اختلاف المناطق الجغرافية لقاطنيه يعبر على وجود أشكالا مختلفة تعكس التنوع الداخلي في هذا المجال المحدود.

فنجد طالبات متمسكات بالعرف الاجتماعي* والديني فهن يبدين ولاءهن لمعتقداتهن بالحفاظ على لباسهن وسلوكاتهن المعروفة بالاتزان، فهن بهذا الشكل محافظات.

*إن الصراع القيمي بدا واضحا من خلال المعاش الذي يمزق فيه التصور "المعتقد" مجموع الممارسات الصادرة من الذات، إذ أننا وجدنا مجموعة من الحالات التي ترسخت في داخلها مجموع القيم التي أخذتها من تشكيلتها الاجتماعية وبالتالي اعتبرت حاملة لها. غير أن اصطدامها بواقع آخر يختلف من حيث التركيبة القيمة والممارساتية المخالفة تماما للقيم الأصلية التي تكونت فيها، فتجدها حاملة للنقيضين بدليل الانغماس في ممارسة السلوك الانحرافي من تدخين وشرب الخمر والسهرات الليلية لمجرد التحاقها بالحي الجامعي وبجماعة الرفاق من جهة.

وعند عودتها إلى البيت تجدها تتخلى عن كل الممارسة المشبوهة وتحاول دائما إظهار احترامها للجماعة وما تحمله من قيم.

في المقابل هناك فتيات يفضلن المزج بين ما هو عرفي تقليدي وما هو عصري، ويظهر ذلك أيضا في طريقة لباسهن وسلوكاتهن فهن بهذا الشكل انتقائيات. في مقابل المنسلخات على القيم الفعلية للمجتمع فهن بهذا متفتحات.

الحي الجامعي هو المكان الذي يأوي الطالبات المتحصلات على شهادة البكالوريا والملتحقات بالتكوين الجامعي من أجل الحصول على شهادات عليا، يكون فيها الانتقال من الأسرة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معاني الحماية والرعاية والوصايا، والمسؤولية والرقابة، إلى فضاء جديد مجاله الداخلي واسع.

وهو بمثابة حي اجتماعي يحوي عينة من المجتمع دون غيرها، لكنه في ذات الوقت لا يكفل الطالبات بالشروط التي عاشت فيها داخل الأسرة، فإن وجدت الحماية والرعاية والوصايا والمسؤولية والرقابة، تبقى هذه الميزات ظرفية ومحدودة، تسقط على عاتق الإدارة داخل الخطوط المرسومة، المتمثلة في الحي، وفقط.

وفيه تظهر الطالبة كامل الممارسات بحرية تامة لا حدود لها. فمن خلال البحث توصلنا إلى مجموعة من الملاحظات من بينها :

هناك طالبات يثمن وجودهن بالحي الجامعي، رغم كل النقائص اللائي يعانين منها، ويعتبرنه نجاحا واكتشافا عظيمين في مقابل فئة ترفض تواجدها في الحي.

فكانت تصريحاتهن على النحو التالي: "أجمل مكان أقضي فيه وقتي هو الحي، مكان رائع ولا حدود لحريتي فيه، أصرخ كما أشاء وأنا أعبر فيه على ما بداخلي، الحي الجامعي أنساني هموم الطفولة ومشاكل الأسرة وأتمنى

البقاء فيه، أكره الحي الجامعي ولا أجده متنفسا فيه خاصة عندما أسأل عن مكان إقامتي فأقول أنني من الحي الجامعي، فأرى نظرات الناس الغريبة لأننا ننعت بكل الصفات البذيئة "بنت la cité" فهذا يعذبني، مكان جميل، أجد فيه الهدوء وراحة البال، مكان سيئ لأنني تعلمت فيه كل الأمور السيئة: التدخين، السهرات الليلية ومعاكسة الرجال، مكان جميل أعبر فيه عن مكبوتات الداخلية، وفيه أكتشف من أكون، مكان لا يحتمل لان فيه طالبات من كل الأصناف، صراخ وزغاريد دائمة تكاد لا تنقطع، مكان جميل".

من خلال تصريحات المبحوثات بدا لنا تضارب الأفكار حول الحي الجامعي، غالبيتهن اعتبرنه مكانا جميلا ففيه ابتعدن عن المشاكل الأسرية اللااستقرار داخل الأسرة، وفيه أيضا مارست حياتهن الخاصة كتناول التدخين، تعاطي المخدرات، وشرب الخمرة، والخروج متى شئن.

ومن خلال بعض التصريحات وبعض الملاحظات المسجلة بدا لنا استياء بعض من الطالبات على الوصمة الاجتماعية (Stigma sociale) التي تلحقهن كالحالة التي أشارت إلى كلمة "بنت la cité" أو "بنت الحي".

ففي الحي ترفع الرقابة لقناعات شخصية تؤمن بها الأسر كتقديس العلم والسماح للفتاة بمواصلة دراستها دون مراقبة، فهنا وقع الإشكال ومن هنا فتح باب "الانحراف"، لأن الفتاة خلال مرحلة عمرية حساسة تبحث عن سبل النجاة والفرار من رقابة الأهل، فلا يكون ذلك إلا في المدرسة أو الجامعة أو الحي الجامعي خاصة.

بما أن هناك نسبة كبيرة من مجموعة البحث بلغت عمرا متقدما نسبيا من الناحية النفسية- الاجتماعية أي (19-22) يمكن القول أن طاقات هذه

المجموعة إذا لم توظف بشكل مفيد اجتماعيا، فمن المحتمل أن توجه نحو التهديم [1].

8- ما يحدث داخل الحي الجامعي* :

إن فيما هو معروف أن تكون الجامعة بمثابة القطب الجاذب لأشكال مختلفة، من التوجهات والثقافات وبالخصوص المستويات الثقافية التي تهيكله على شاكلة نمط ومكتسب جديد، في عموم التكونات العلمية القائمة من المفروض على أساس المنافسة العلمية.

على أن الحرم الجامعي أصبح بحكم ما يحدث داخله بمثابة فضاء يناقض مجموع قيمه الأساسية التي انبنى عليها أول مرة.

حاولنا من وجهة نظر تقريبية أن نقوم بنزلات ميدانية داخل الغرف في الأحياء الجامعية، وقد ركزنا في هذا كباحثين في علم الاجتماع على

1- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية الاجتماعية على الشباب**، مرجع سابق، ص69.

* اختلال وظيفة الحي الجامعي، إن داء الأدوار داخل النسق المدروس تكاد تكون معدومة من ناحية الرقابة الإدارية، بداية بمركز المراقبة حيث تتوافد أعداد كبيرة من الزلاء الأجانب داخل الأحياء الجامعية دون ترخيص ودون علم الإدارة، حيث تتمكن بعض الأطراف من إيصال المواد الممنوعة داخل الحي الجامعي من مشروبات كحولية، مخدرات.

تعتبر المرحلة الممتدة من سنوات 18 إلى 22 سنة إلى 24 سنة، أخطر مرحلة من عمر الفرد، ذلك أن الاكتمال البيولوجي يكون باديا على الفرد وفي نفس المرحة تتفجر طاقة داخلية كامنة في الفرد تشعره بالقوة والعظمة والعطاء، هذه الثلاثية تحدد لنا السلوك العام للفرد نحو الأسلوب الحسن أو الأسلوب السيئ الذي غالبا ما توجهه الظروف المحيطة به.

فالحي الجامعي الآن أصبح يعبر عن مكان يحاول من خلاله الفرد اكتشاف أسراره الداخلية من خلال العفوية والتلقائية التي يسلكها عموما والتي تظهر في سلوكاته التلقائية، فإن أحيط الفرد خلال هذه المرحلة بمحيط سيء قد تسوء طباعه فينحى منحى السلوك السيئ، مقابل المحيط الحسن الذي يسوده الطباع الحسن.

رؤية المجتمع للحي على أنه مكان تفسد فيه الأخلاق لذا أنجد أن طالبات الأحياء الجامعية الآن معرضات للاعتداءات وهذا ما يبديه لنا الإعلام المكتوب "الجرائد" من خلال عروض الاعتداء التي تتلقاه طالبات الأحياء الجامعية لها؟، قد تكون رؤية المعتقدين لطالبات الأحياء الجامعية بالقصور وحتى رؤية المجتمع نفسه، والإجهاضات داخل الأحياء، اللباس الفاضح بطلاته طالبات الأحياء الجامعية، الوشم.

الملاحظة، والتركيز على ما قد يقال بين الفتيات، وما هي عموميات الأحاديث الدائرة هناك.

من بين المعطيات التي تتهيكل فيها منظومة القيم المكتسبة من المجتمع التقليدي (أي المجتمع الذي تكونت فيه الفتاة) ومنظومة القيم الجديدة المأخوذة من المجتمع الجديد (أي فترة الوجود في الجامعة).

خلصت إلى مجموعة من النقاط الجوهرية، والمتمثلة في الحقيقة لترصدات أجريت مع طالبات اقتحمن طريق الدعارة غير الرسمية.

والسبب في ذلك كان البحث عن المادة والحصول على الأموال وإن اختلفت طريقة التحايل من أجل جني المال، وهذا المنطق التفكيري الجديد أصبح الآن يغزو المنطق التفكيري الخاص عند طالبات الأحياء الجامعية اللائي اخترن منطق "الانحراف" كأسلوب حياة من أجل العيش السعيد إن صح التعبير أو التفسير.

جدول رقم 09: توزيع العينة حسب تقييم فترة وجودهن في الحي الجامعي

التقييم	التكرار	النسب
الإيجاب	40	%40
السلب	35	%35
دون إجابة	25	%25
المجموع	100	%100

إن مسألة تقييم الفرد لحاله يعني مدى الإدراك الجدي والواعي لما يعيشه الفرد داخل الجماعة وبعيدا عنها، فللفرد ارتباط وثيق من خلال الرابط الاجتماعي (le lien social) الذي يتشكل لديه عن طريق الاستمرارية.

وبالتالي تعبر نسبة 40% عن حالة القبول لما هي عليه من وضع منحرف يفسر لنا الرؤية التقزيمية لما تعانيه المستوجبات ويكون ذلك بطريقة تعنتية، ترفع من خلالها المرأة الواقع الذي تعيشه، إما عن طريق التعنت فتقول أن فترة وجودها في الحي الجامعي إيجابية لمغالطة الذات الرافضة للواقع تماما من خلال ما لاحظناه.

لأن الغالبية تقول كوني أنعت بابنة الحي أو "بنت la cité" وإما كونها تعبر بكلمة الإيجاب لكونها تجهل فعلا الحالة التي تمر بها من سلوكات منحرفة غير سوية وفق المنطق العرفي.

مقابل 35% التي قيمت فترت وجودها بالسلب لإدراكها الجاد لمعنى الانحراف مقابل المنطق العرفي، أما 25% والتي عبرت عن الامتناع فإن ذلك يعني أحيانا الرفض للحال دون التصريح.

جدول رقم10: توزيع عينة المجتمع المدروس حسب الرضى الشخصي

التكرارات / هل أنت راضية على وضعك	التكرار	النسب
نعم	40	%40

لا	35	%35
دون إجابة	25	%25
المجموع	100	%100

بنفس النسب المتعلقة بمسألة التقييم لفترة الوجود في الحي الجامعي عبرت نسبة 40%، بالرضى الشخصي كفلسفة لذر الغبار على الأعين، على ما تقترفه المنحرفات من سلوكات مرفوضة.

مقابل 35% التي أدركت بالفعل حجم ما تعانيه وما ستعانيه من المجتمع بسبب السلوك المنحرف.

مقابل 25% ترفض التصريح رؤية جديدة في التعبير بالسكوت عن ما يؤلم ويؤرق الذات المنحرفة.

جدول رقم11:توزيع عينة الدراسة حسب ما تراه من تقديرات المجتمع لهن

التكرارات / التقديرات	التكرارات	النسب
طيبة	14	%14
سيئة	80	%80
دون إجابة	06	%06
المجموع	100	%100

توضح معطيات الدراسة أن نسبة 80%، عبرت على كون سمعة الفتاة عند المجتمع هي سمعة سيئة، إن هذا الشعور والإيمان الداخلي بنظرة المجتمع للطالبة الجامعية الداخلية خاصة بالسمعة السيئة، يعزز عند الطالبة روح المغامرة والمجازفة لممارسة شتى أنواع "الانحراف".

لأنها تعتقد حتى وإن كانت سوية بالقدر الذي تراه فإن ذلك لن ولن يغير نظرة التحيز للمجتمع، وهذا ما عبرت عليه أيضا تصريحات المقابلات حيث أكدت الغالبية أنهن تنعتن ببنت الحي (بنت la cité) وهي وصمة تلحق بطالبات الأحياء الجامعية، وكأن الحي الجماعي اليوم في المعتقد الجمعي أصبح يعبر عن مكان فساد أخلاق الفتاة وفقط.

وعليه أصبحت العديد من الأسر تمنع التحاق بناتها بالجامعة والإقامة بالحي الجامعي، وإن سمح لها فيكون ذلك إما بالسماح لها بالبقاء عند أحد الأقارب إن وجدوا أو عن طريق الذهاب والإياب اليومي.

إن مثل هذه النظرة الدونية للحي الجامعي في المعتقد العرفي أعطت توجها آخرا في الثقافة المحلية، فبعدما كانت الجامعة تعتبر مكان إشعاع علمي يحقق للفرد المكانة الاجتماعية، والاحترام ويعتبر الحي الجامعي "الحرم" الذي تجد فيه الفتاة الآمان، ولأقاربها الاطمئنان.

أصبحت اليوم الجامعة والحي الجامعي في المعتقد العرفي تعني الكثير من علامات الاستفهام؟؟؟ فبعد التحاق الفتاة بالجامعة، والحي الجامعي، بعد قبول الأسرة بهذا الانخراط المجازف فيه، بسؤال يحير العديد من الأسر.

التحقت الفتاة بالجامعة والحي الجامعي فبأي حال ستعود؟ وهذا المعتقد يعبر عن الوصمة التي تلاحق الفتاة الداخلية خاصة، إلى درجة امتناع العديد من الرجال الاقتران بهن بسبب الخوف من المجهول، فلماذا؟

جدول رقم12: توزيع إجابات المجتمع المدروس حسب ما تعرضت له من اعتداءات

التكرارات	التكرارات	النسب

نوع الاعتداءات		
جسدية	04	%04
جنسية	06	%06
تجريد من المال والذهب	30	%30
لم تتعرض لأي اعتداء	40	%40
دون إجابة	20	%20
المجموع	100	%100

تتعرض طالبات الأحياء الجامعية للعديد من الاعتداءات بداية عند بوابة الحي الجامعي وخارجها.

فهناك مجموعات لسراق يترددون على الأحياء الجامعية لمباغتة الفتيات عند أوقات محددة، كوقت الظهيرة، أو عند ساعات الصباح الأولى، أين تقل حركة الأفراد.

فقد عبرت نسبة 30% على كونها تعرضت لسرقات بتجريد من المال والذهب وطريقة السرقة إما تكون من طرف سراق في الشارع أو عندما تحاول الفتاة المجازفة بالركوب في سيارات مجهولة مع أشخاص مجهولين.

وأحيانا يكون الاعتداء جنسيا وهو ما عبرت عليه نسبة 06% هذا ما يفسر لنا أحيانا سذاجة الفتاة إلى درجة الاعتداء جنسيا عليها.

ولمثل هذه الاعتداءات تأثيرات نفسية بليغة على الفتاة تجعلها تفقد الثقة في نفسها وفي غيرها من الآخرين خاصة الرجال، ولهذا تحاول الانتقام بأساليب انحرافية من الرجال لأنها لا تثق بهم على الإطلاق. وهذا ما سجلناه من خلال النزلات الميدانية.

بينما عبرت نسبة 04% على الاعتداءات الجسدية ويكون الحدث خاصة من طرف الصديق الذي تجمعه علاقة صداقة بالفتاة، وبعد تطور العلاقة يجد نفسه أنه مسؤولا – هكذا باسم التخويل–.

هذا الشعور يولد لديه نوعا من الرجولة فإذا ما أقدمت الصديقة على أي فعل يتعارض ومنطق الصديق أو أي خصومات حدثت بينهما تتعرض للضرب باسم التخويل*.

ذلك أن الرهان الأكبر لم يكن معرفة ما يميز الأفعال من بقية الأحداث التي تقع في العالم ولكن ما الذي يميز الذات التي تحويها ضمن المقدرة على العمل التي تقوم بصلة الوصل بين التصرف والفاعل، حيث تتحرر نظرية العمل من الوصايا التي كانت تخضع لها تستطيع أن تقوم بدور تمهيدي لمسألة الهوية الذاتية في المقابل فإن مسألة الذات الفاعلة، بعد أن تخطت مسألة العمل تحدث تغييرات ضخمة على مستوى التصرف البشري نفسه[1].

إن ما يمكن استنتاجه من المعطيات أن هناك توجه جديد في المنطق الأنثوي وحتى الذكوري في ممارسة الحياة الشخصية، وكأن الضابط فيها فرديا لا جماعيا.

فبلوغ الفرد في المجتمع منطق التفكير الفردي المرتبط بممارسته النزوات الخاصة دون الخضوع للمنطق الجمعي، هو تأسيس لهويات جديدة

* أي أنه يخول لنفسه كامل الصلاحيات بممارسة سلطة مطلقة وكأنه زوج الفتاة.

1- بول ريكو، ***الذات عينها كآخر***، ترجمة جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2005، ص249.

متناقضة ومتصارعة داخل النسق العام، سيحدث فيما بعد رشخا في الثقافة والهوية الجماعية.

فهو مسيرة مستمرة عبر الأجيال إلى ما يعرف بطمس الثقافات، فلا الفرد الواحد فيها واعيا لما تعنيه الهوية الخاصة ولا الجماعة قادرة على التعبير عن هذا الانفلات داخلها.

والجدول التالي يوضح التقييم النهائي لوضع الطالبات حول حالاتهن ورأيهن في سلوكاتهن؟.

جدول رقم 13: يوضح تقييم الطالبة سلوكاتهن الشخصية

التكرارات / الخيارات	التكرارات	النسب
تعبير عن وضع عادي بنسبة	09	%09
انحراف	61	%61
دون إجابة	30	%30
المجموع	100	%100

يظهر من خلال تصريحات عينة المجتمع المدروس عن كون ممارساتها هي ممارسات انحرافية عبرت عليها بنسبة 61%.

في حين 30% تمتنع ولا تجيب وكأنها تعبر عن التناقض الصريح القائم على عجز الفرد في تقييم سلوكه، فكيف يمكننا التعبير على التوجه الجديد في المنطق التقليدي والممارساتي عند شباب اليوم؟

حيث يمكن اعتبار هذا الانفلات الأخلاقي في الهوية الجماعية بمثابة القطيعة معها والاستمرار نحو هوية العولمة الجديد التي مازلت تصنع معالم وجودها أجواء المعتقدات الفردية الحديثة المتصلة بالعمق الجمعي.

خلاصة ما طرحناه في هذا الفصل حول الجامعة، يعني في نهاية الأمر تحديد مهام الجامعة على أساس دورها في المجتمع.

لكن ماهية الجامعة لا يمكن أن تتبلور بوضوح إلا متى كانت نابعة من السياق الاجتماعي لا مسقطة عليه، إذ ينبغي أن يتحول السؤال من: ما هو الدور الاجتماعي الذي يجب أن تقوم به الجامعة، وماذا تنتظر مختلف الشرائح الاجتماعية العريضة من الجامعة، وما هي الحاجيات الأساسية للمجتمع الذي تعمل لخدمته أو الذي يراد بناؤه، ذلك أن الجامعة هي في نهاية التحليل قضية ثقافية[1].

في مقابل هذا الإلمام للدور المنوط بالجامعة، يبقى الحي الجامعي وما يحمله من تناقضات داخل مجالها المحدود يعبر في فحواه عن عديد الاختلافات الممارساتية، المعبرة عن التوجه الجديد نحو أحداث هويات فردية أو جماعية جديدة، توافقت أو تعارضت مع الجماعة التقليدية، فهي تعني الكثير من معاني العولمة والعالمية، في الإنتاج الهوياتي العربي حيث يمكننا التساؤل حول ما هي حدود هذه الانتاجات المتعلقة بالهوية العربية؟.

1- محمد باشوش، **مساهمة في دراسة وظائف الجامعة التونسية**، مرجع سابق، ص34.

الفصـــل الثالث

الأسبـــــاب الاجتماعيـــــة للانحراف

1. التركيبة الهرمية للأسرة الجزائرية
2. دور الهرمية داخل الأسرة
3. العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة
4. العلاقات الاجتماعية مع الأقارب
5. العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة
6. الموضة والقيم العرفية

موضوع التنشئة الاجتماعية أعطى الكثير من التفسيرات المتعلقة بتحليل الأنساق عبر المراحل الجيلية خلال الحقب التاريخية وما أنتجه الصراع ألجيلي* بين الأبناء والآباء و الأجداد. في المقابل والذي عبر عن وضع اجتماعي(situation social) من جهة وعن تحول اجتماعي (changement social) كمقابل فيما بعد.

من جهة أخرى تفرض التنشئة الاجتماعية نموذجا داخليا اعتقاديا مرسخا لدى الفرد، يؤمن من خلاله إيمانا كليا بحتمية اختلافه عن الجنس الآخر، وحتمية التزامه بهذا الوضع كونه وضعا طبيعيا.

هذا ما عبر عنه " P.Bourdieu "بـــ" Habitus" أي كونه جنس يختلف عن الجنس الآخر، حيث ركز هذا الأخير دراسته عن المجتمع القبائلي كنموذج للهيمنة الذكورية، المتولدة من التنشئة الاجتماعية.

وهو يصف في كتابه (la domination masculine) أو الهيمنة الذكورية، وضع المرأة القبائلية كونها ضحية لانتمائها لثقافة مجتمعية خاصة.

* يتسم شباب اليوم بالرفض دوما للقديم، والتردد عليه، فهم يحاولون تكسير كل ماله علاقة بالقديم، يبدو ذلك واضحا من خلال بعض النعوتات المسموعة من شباب اليوم للذين يتمسكون بالقديم "عروبي، متخلف، Z.H"، إن مثل هذه النعوتات والصفات التي يوصف بها شباب اليوم بعضهم تعبر عن التمرد ومحاولة التحرر من النظام القديم، محاولين بذلك خلق قوة جديدة منافسة من أجل إثبات الذات وجعل الآخرين يعترفون بهم، ويكون ذلك من خلال الرفض الكلي لمعطيات النظام الاجتماعي القديم.

فهم يرونه بالي وعنيد لا يساير الظرف، ومنها ينتج صراع قوي بين الأجيال، بين الآباء والأبناء، ويكون ذلك بداية بتغيير طريقة الكلام، أسلوب اللباس، رفض توجيهات الآباء ونصائح الكبار.

وتزداد المرحلة خطورة مع الفترة العمرية التي يمر بها الشباب والتي تعبر عن القوة والاندفاع، وهي في ذات الوقت تعبر عن الانفلات الواضح في حياة الفرد، خاصة للذي له قوة الشخصية في العناء وتحدي الآخرين بتكسير الحواجز الأولى مع الآباء للتطور وتصبح عادية مع الآخرين.

إن مرحلة التمرد هذه عند الشباب تعبر عن وعي جماعي لمجموعة من الشباب الآخرين خاصة عندما تتوحد العلاقات مع الأفراد الآخرين في مشاكل.

ومن هنا يمكننا أن نطرح السؤال التالي.

– هل كل امرأة تنتمي إلى هذا النمط التنشئوي الخاص حسب بعض المفكرين "Bourdieu" و"Erving Goffman" وغيرهم والذين يرون أن الاختلاف الجسدي الطفيف هذا يفرض عليها هيمنة ذكورية، ترى من خلالها أنها ضحية ؟.

أو كونها ترى ذلك عكس ذلك؟!!.

مقابل من دافع عن فكرة التمايز وقال يجب أن ندافع عن هذا الاختلاف وإعادة بنائه من أجل إحلال مبدأ التكافؤ المطروح تاريخيا " Jacque Vigary*Commaille ".

تظهر الفكرة من خلال سيطرة النظام الأبوسي " patriarcales"[1] على النمط الفكري العام في المجتمعات العربية، كالمجتمع الجزائري مثلا الذي جعل للمرأة مكانة دونية، تجعلها خاضعة لسلطة الذكر على الأنثى.

ويرجع هذا الاعتقاد العام والسائد في المخيلة الاجتماعية إلى صيرورة التنشئة الاجتماعية التي تولد لدى الفرد فكرة الاعتقاد المطلق والانسياق لفكر الأعراف.

ففكرة الانسياق لما تميله الجماعة من أحكام واضحة المعالم لدى الأجيال السابقة المتمثلة في جيل الآباء والأجداد. والأجيال المتلاحقة والمتمثلة في جيل الأبناء، والمتأثرة بأفكار الحداثة والعولمة .

1- أنظر:

Mostafa Boutefnonchet, **la famille algérienne**, évolution et caractéristiques récents, ASNED, Alger, 1980.

أحدثت ما يعرف بمبدأ "التباعد" "La distanciation"[1] وتوسع حلقة التواصل بين جيلين يؤدي حتما إلى عدم تحديد فعلي لأداء الأدوار بشكلها السليم وهذا ما يعبر عنه باختلال الأدوار.

هذا ما يجعلنا نتساءل في جزء من هذا العمل حول دور التنشئة الاجتماعية، على اعتبارها قاعدة أساسية تساهم في عملية بناء وترسيخ الفكر الثقافي.

وما هي مواطن الاختلال في تحقيق أو انجاز هذا الأداء الوظيفي الإلزامي عليها، لذلك وجدنا العديد ممن اهتموا في دراساتهم بموضوع التنشئة الاجتماعية كرمز من رموز البناء الثقافي والاجتماعي، لما تميله هذه المرحلة في حياة الفرد بمراحلها التأسيسية، بداية بالأسرة فالمدرسة، دور الحضانة، المسجد، الحي، الجامعة.

1- التركيبة الهرمية للأسرة الجزائرية

إن النسق الاجتماعي يفرض نوعا من التميز الخاص عن الأنساق الأخرى وفقا لطبيعة الأسرة المشكلة لها، وبالتالي فالبناء الاجتماعي المتمثل في أشكال الأسر يحدد دور الجماعة ثقافيا تاريخيا، عرفيا، حسب التقاليد والنظم المتبعة فيها.

وللأسرة الأساس العام في إبراز نماذج المجتمعات وفق التركيبة الهرمية لها ووفق طبيعة العلاقات السائدة، والسلطة المتبعة فيها. ويكون ذلك من خلال التركيبة الأسرية القائمة على جوهر تقسيم الأدوار بين الذكور والإناث، خاصة في المجتمعات التقليدية، ذات النمط المحافظ.

1- أنظر مصطفى جدية، **التنشئة الاجتماعية والهوية**، دراسة نفسية اجتماعية للطفل الفروي المتمدرس، ترجمة محمد الشيخ، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.

وعن تحديد مكانة والأب والأم أين تتحدد الأدوار والمسؤوليات بشكل متناغم ومتلازم مرتبط بالمكانة التي يمثلها كل عنصر داخل الأسرة وضبط دوره الفعلي فيها.

حيث أصبحت الأسرة النووية الشكل الأسري أكثر شيوعا وظهورا في المجتمعات الإنسانية عموما كما وضحته الدراسة التي أجراها (ميردوك) فالمجتمع الجزائري أيضا ونتيجة لظروف متعددة برز هذا النمط الأسري، وبالرغم من ذلك مازلنا نلمح بعض مظاهر الأسرة الممتدة[1].

إن التوجه الجديد في التفكير أنتج شكلا جديدا أو فرض نوعا جديدا ارتبط بطبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية ومجموع التحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري، تمثل هذا النتاج في التوجه نحو نمط الأسرة النووية.

إن هذا النمط الجديد في التشكيلة الاجتماعية لطبيعة المجتمع الجزائري أفرز العديد من الممارسات السلوكية التي غذتها أفكار العولمة والحرية والانبهار بهذا الانفتاح.

ليس على مستوى قيم الأبناء وفقط وإنما على مستوى قيم الجماعة أيضا، هذه القيم الجديدة التي اكتسحت الفضاء الثقافي والاجتماعي، أنتجت ثقافة جيليه جديدة متعارضة وقيم الأجداد والأعراف التقليدية.

أحيانا يكون هذا التبني بارزا من الآباء والأبناء على حد السواء، وبالتالي ظهور سلوكات شبابية قد تكون واعية أو غير واعية.

1- بوبيدي لامية، **انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري**، مرجع سابق صفحة 249.

إلا أنها تفسر لنا الدور الثقافي الممارس داخل هذا الشكل أو النموذج الأسري الجديد، المتأثر بإفرازات المدينة وأسلوب التحضر، وبالتالي إنتاج طبع جديد متعارض مع الطبع القديم.

"وما يثير الانتباه في النمط التقليدي للأسرة الممتدة في المدن القديمة، تلمسان، قسنطينة، بجاية، تبسة، بسكرة..، وفي الريف بوجه عام هو مدى الاهتمام بالأصول السلوكية وآداب اللياقة التي يحرص الآباء والأمهات على تلقينها لأبنائهم في حدود الخامسة من العمر وتصبح إلزامية بعد الختان مباشرة أو صوم رمضان فهناك آداب للأكل تجبر الأولاد على تناول الطعام بطريقة معينة"[1] مثلا.

إن هذا النمط الجديد لا يعبر عن غياب دور العائلة المركبة بشكل عام، بل إن التراتبية الموجودة في بعض الأسر، مازالت تحافظ على نقل الموروث، لكن في صراع قيمي بين الأجيال، بين ما ينقله الأجداد والآباء إلى الأبناء، أمام تقبل وكيفية التقبل من طرف الأبناء أمام معطيات العصر ومغريات الحداثة.

"يرى هيرودوك أن الطبع الاجتماعي بالنسبة للذي لا يوافق منطق الجماعة فيما تنظر إليه، والذي لا يحترم الرهانات الرمزية يؤدي ذلك إلى الطرد الذي يقوي الطبع إلى غاية الوصول أحيانا إلى التجريح، وكانت هذه نتيجـــة الدراية التي قام بها في الجماعة المغلقة عن طريق تحليل التفاعلات (les interactions)"[2].

1- المرجع السابق، ص149-150.

2- Feschet Jean, ***s'initier à la sociologie***, ***vivre autrement les changements***, ed chrinique sociale, Lyon, 1999, p57.

2- دور الهرمية داخل الأسرة الجزائرية

تخضع الأسرة إلى نمط الهرمية داخل الأنساق الاجتماعية التي تفرض عليها طابع الخضوع والالتزام للقواعد القيمية، وتدخل الأفراد ضمن النسق الواحد إلى حتمية الاستسلام والخضوع الذي سيؤدي بدوره إلى إحداث آلية التصادم العام بين الأجيال.

حلقة التصادم هذه ستنتج لنا تحديا واضحا لقيم الأبناء ورفضها لقيم العرف المتمثلة في القيم التي يحملها جيل الآباء والأجداد، وكلما زاد الصراع والتقابل الداخلي حدة، زادت الهوة بين الأبناء والآباء والأجداد. هذا بدوره سيؤدي إلى إحداث فراغات بين الأجيال، وبالتالي إدخال النسق ضمن إطار الاختلالات والاعتلالات في الأدوار الأسرية التي سينجر عليها إحداث الكثير من القيم المتعارضة.

مثل هذه الاعتلالات ستؤدي إلى انشقاقات داخل الأنساق، وبالتالي سينتج عن هذا اختلال في الأداء النفسي والعاطفي داخل الأسرة.

فالشكل الهرمي المفروض داخل النسق سيولد مبدأ التقابل المتعارض بين الأجيال والذي سيولد قيما أخرى جديدة تتبناه الأجيال اللاحقة كقيم مكتسبة من التنشئة الاجتماعية عبر قنواتها التمريرية.

فطبيعة العلاقة الهرمية الملزمة الإجبارية ستؤدي حتما إلى اختلالات لا توافقية بين الأجيال، مقابل العلاقة الهرمية غير الملزمة والتي ستدخل أفراد المجموعة ضمن علاقات سليمة أساسها الاحترام المتبادل، ويكون ذلك نتيجة التواصل المتناغم والمتناسق بين الأجيال.

وبالتالي إنتاج ثقافة الاحترام الإلزامي بالقاعدة المتأصلة من آليات التنظيم الاجتماعي والثقافي، المنبثق من روح التنشئة الاجتماعية السليمة ،التي تبرز آليات التنظيم في فهم حدود الناشئة لأداء أدوارهم وفقا للاحترام المتبادل والطاعة الواجبة بالثقافة المنقولة، بأسلوب سليم من طرف الآباء.

ويشكل هذا التناغم التعبير عن حلقة التواصل ا بين الأجيال على أساس الاحترام والالتزام والطاعة وليس على أساس القهر والإلزام الذي قد يعبر عن اللاستقرار واختلال الأدوار والذي سينتج صراعات متواصلة بين الأجيال.

تقول الحالة 09: "عندي خويا الكبير في الدار قبيح، حاقرنا، وما يخليناش نهدروا على جال ذلك وليت هاك، البوميت"

وجود مثل هذه التراتبيات أثرت على نفسية الحالة وعلى سلوكها مع غياب دور الوالد لأنه ميت، هذه السلطة الممارسة على الفتاة بطريقة قصرية أساسها الضغط واستغلال المكانة، جعلها تفكر في أسلوب انتقامي؛ الانتقام لشخص الرجل الذي يمثله الأخ حسب نفس الحالة.

أما الحالة 05 تقول أن مثل هذه الممارسات الانحرافية هي تعبير صريح للانتقام من والدها الذي يمارس عليهم سلطة قهرية، سببها الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تعيشها وعائلتها.

أما الحالة 02 تقول أنها ترعرعت في أسرة مركبة الكل يتدخل في حياتهم الجد والجدة والأعمام.

بينما الحالة 10 والحالة 08 تؤكد أن سبب انحرافها كان وراء الغياب الكبير في حياتها التنشئوية للوالدين لأنهما يعملان (الحالة 10: الأب تاجر،

الأم موظفة في الإدارة)، (الحالة 08: الأب موظف إداري، الأم موظفة إدارية).

جدول رقم 14: يبين عدد أفراد أسر المبحوثين

عدد أفراد الأسرة	التكرارات	النسبة
من اثنين إلى أربع	20	%20
من خمس إلى سبع	30	%30
أكثر من ثمانية	50	%50
المجموع	100	%100

يبدو من خلال النسب الموضحة في الجدول أن أكبر نسبة عبرت عليها 50،% لدى الأسر التي تفوق الثمانية أفراد من أب وأم وأبناء، إضافة إلى وجود الجد والجدة، أو الأعمام والعمات في حالات قليلة.

غير أن هذا العدد داخل الأسرة، قد يكون سببا مساعدا في توجيه السلوك الانحرافي، لأن الطفل غالبا ما يهمش في الأسرة ذات الحجم الكبير ، ولا يولى له اهتمام من الحنان ورعاية لازمة.

في حين أن نسبة الأسرة المكونة من خمس إلى سبع أفراد عبرت عليها نسبة 30%، وهي بنفس التفسير قد تعني التهميش واللامبالاة التي تولد لدى الفرد الاكتئاب، والإحساس بالتمييز والتهميش، تجعله يبحث عن بعض الممارسات المتناقضة مع ما يمليه الضمير العرفي الأسري من أجل تحقيق وجوده، أو من أجل اختراق هذا الحيز أو النسق الذي وجد فيه.

خاصة مع غياب الحوار والحرمان العاطفي، مقابل 20% عبرت عن عدد أفراد أسرتها بين إثنين و أربع أفراد.

لأن عملية التواصل بين أفراد الأسرة تكون منبثقة من الروح الاجتماعية والثقافية السائدة في الأسرة، والحفاظ على هذه الاستمرارية يكون نابعا من الروح الجماعية، الذي تبديه الجماعة.

فالعلاقات التعاملية بين الأفراد داخل النسق تنتج لنا الطبيعة العامة التي تربط الأفراد فيما بينهم داخل النسق الواحد والتي ستكون ناتجة عن الرضا المتبادل بين الأطراف من خلال احترام تقسيم الأدوار والأداء الوظيفي كل طرف فيها.

رضا الأطراف داخل النسق، الذي سينعكس على الأداء النفسي والعاطفي بين الأطراف، والذي سينجم عنه اكتساب ثقة، وعاطفة متبادلة، وبالتالي استمرارية غير محرجة للنسق الأسري العام وللأجواء التي سيعيشها الأفراد فيها دون تعارض أو تصادم.

هذا الاستقرار العاطفي والنفسي سينتج عنه استقرار لدى الناشئة يظهر في معاملاتهم السلوكية مع الآخرين، مقابل العلاقات غير التوافقية التي تدخل المراهقين والأطفال في صراع حاد مع الآباء والأجداد، والذي سيكون من بين أهم الأسباب الدافعة للانحراف، وهذا حسب دراسات قام بها العديد من الباحثين على رأسهم "سندرلاند".

إن من أهم مظاهر اللاستقرار الأسري هي الخلافات والشجارات سواء بين الزوجين أو بين الإخوة وحتى بين الآباء والأبناء، وما دل ذلك إلا على وجود مشكلة أو خلل على مستوى الشبكة العلائقية الاتصالية وعن سوء التوافق الأسري[1].

1- المرجع السابق ، ص 262.

3- العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة

للأسرة دور هام في تكوين الفرد وإعداده لتحمل الأدوار الاجتماعية والاقتصادية في المستقبل، ولتنشئة الطفل خلال المراحل العمرية من حياته في الأسرة وقع كبير التأثير، يأخذ منعرج الخطورة خلال مرحلة الشباب خاصة مرحلة الطفولة منها التي تبدأ بتقديرات متفاوتة بين سن 14 أو 15 إلى سن 24 أو 26، قد تنقص أو تزيد، فالمتفق عليه أن هذه المرحلة مهما امتدت أو تقلصت، مرحلة حساسة في حياة الفرد.

حسب ما هو شائع، نجد مصطلح يطلق على هذه الفئة بكونهم مخلوقات برية "Sauvageons"[1]، للدلالة على حساسية هذه الفئة في المجتمع غير الواعية أحيانا بما تمارسه من سلوكات للتعبير عن كونها منقادة وراء شهواتها وأحلامها.

فالضابط هو الأسرة وهي المرجعية الأساسية المتينة في حياة الفرد التي تؤهله لضبط جموح نزواته، لأنه خلال مرحلة من العمر، "مرحلة المراهقة" يحاول الفرد تفجير كل طاقاته.

لعلاقات الأخوة ببعضهم وعلاقات ذويهم بهم أثر كبير في تكوين خلق الطفل، كما أن الوالد الذي هو مثل الطفل الأعلى له أكبر الأثر على نمو الطفل الخلقي إذ أن الطفل يحذو حذوه ويسلك سبيله في الأخلاق ومعاملة الناس، هذا ولنظام البيت وما يحيط بالطفل من أثر كبير في نموه[2].

1- مركز **المرأة العربية، الفتاة العربية المراهقة**، مرجع سابق.ص60

2- كامل علوان الزبيدي، **علم النفس الاجتماعي**، مرجع سابق، ص76.

من خلال الدراسة توصلنا إلى كون العلاقات التي تربط عينة المجتمع بأحوال تنشئتها الاجتماعية، كانت متأرجحة بين الحسنة والسيئة.

فهناك مبحوثات عبرن عن كون علاقاتهن داخل الأسرة مع الآباء (الأم والأب) كانت تخضع لأسلوب الأمر والنهي فقط.

تقول الحالة 01: "والديا كثروا علي القوانين، ديري هذي، ما تدريش هذيك".

أي أن الوالدين كانا يضغطان على الحالة باسم القوانين، وهذا يفرض نوعا من إحداث شرخ علائقي بين الأبناء والآباء.

الحالة 07: "علاقاتي بالوالدين مليحة، كاين مرات مايفهمونيش برك".

تعبر الحالة 07 على العلاقة الحسنة بينها وبين الوالدين باستثناء فترات لا يكون فيها تواصل بينهما لأسباب نشرحها لاحقا.

من خلال التصريحين بدا الأمر واضحا في وجود نوع من الانتقاد للوالدين، وأسلوب معاملتهما المركز من طرفهما على أسلوب الأمر والنهي.

هذا يعني إقصاء الطرف المقابل "الأبناء" أمام سلطة الآباء الذي بدوره يولد نوعا من الضغوطات النفسية، تكون سببا حقيقيا وراء اكتسابه للشعور الرافض لمثل هذه الأدوار، الممارسة عليه تجعله عرضة لكل التجارب الاجتماعية من أجل إثبات الذات.

إضافة إلى كون المشاجرات داخل الأسرة واللااستقرار تكون دافعا قويا وراء جنوح الفرد وانحرافه عن القيم العرفية، لأن المشاجرات المستمرة تجعل من الفرد دائم البحث عن الاستقرار والهدوء.

الجدول رقم 15: يبين الوضعية الأسرية للحالات المدروسة:

النسب / الوضعية الأسرية		التكرارات	%
مستقرة		18	%18
غير مستقرة	طلاق	08	%08
	خصومات	64	%64
دون إجابة		10	%10
المجموع		100	%100

بدا الأمر واضحا من خلال التصريحات التي عبرت على نسبة 64 من كونها تعيش في أسرة غير مستقرة، طابعها الخصومات بالدرجة الأولى، والتي كانت سببا رئيسيا في السلوك الانحرافي لعينة المجتمع المدروس.

هذا تعبير صريح عن الغياب الفعلي القائم على أساس الشعور بالمسؤولية التامة للأسرة وكيفية أداء واجبها النظامي داخل النسق.

إن مثل هذه الأشكال للأسر –التي تعيش حالة مشاجرات– لها دور كبير في توجيه سلوك الأفراد، إضافة إلى بعض المشاركات لمثل هذه الأوضاع كالطلاق الذي عبرت عليه العينة بـــ08%.

والذي أدى هو الآخر إلى توجيه السلوك الانحرافي للعينة، حيث يجد فيه الفرد أنه موزعا في تربيته بين الأب والأم، بتدخل الأقارب.

هذه الظروف ساعدة في هشهشة شخصية الفرد، التي ولدت لديه نوعا من الاضطرابات النفسية التي جعلته عرضة للمؤثرات الاجتماعية، قد تكون سببا في انحرافه ويكون هذا بمثابة الهروب من الضغوطات الاجتماعية.

وبالتالي للوضعية الأسرية غير المستقرة دور كبير في توجيه سلوكات الأفراد، هذا لا يعني أن يكون السلوك الانحرافي وليد للوضعية الأسرية غير المستقرة وفقط.

"فالتفكك الاجتماعي يحصل عند الناشئة (الشريحة الشبابية) عندما تتبين لها بأن أنماطا لعيش جديدة متأتية من ثقافات، غير ثقافتها إنما هذا التبني يخلق عندها فيما بعد تناقضات وتقاطعات وأحيانا صراعات مع الأجيال المتقدمة في السن والمحافظة على تقاليدها، يصل أحيانا إلى الإحباطات بين طموحاتها وواقعها المحافظ"[1].

في مقابل ذلك عبرت نسبة 18% من العينة على وجود استقرار داخل الأسرة إلا أنها كانت منحرفة، تعبير صريح وواضح على كون السلوك الانحرافي وليد أيضا للاستقرار الأسري فيه تفاسير مختلفة، كتلك المرتبطة بغياب الدور التوجيهي للوالدين للسلوكات الإيجابية أو الحسنة في البدايات الأولى للتنشئة.

فمعنى الاستقرار لا يوحي في جوهره بالأداء الفعلي أو الإيجابي للتنشئة الاجتماعية، القائمة على أساس احترام القيم العرفية والدينية دائما، وإنما كلمة استقرار قد تعني وجود حرية مطلقة داخل الأسرة، بغياب دور الآباء التوعوي فيما يجب أن يتبعه الطفل حتى يكون فردا صالحا وفعالا بسلوكه السليم.

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص130.

"من الممكن أن نقول أن مؤشرات الانسجام أو التوافق هو خلو الحياة من الاختلافات والصراعات والشجارات"[1]، إلا أن للاستقرار دورا آخرا مشاركا في العملية الانحرافية.

4- العلاقات الاجتماعية مع الأقارب

بالنسبة للسؤال المتعلق بتدخل الأقارب في الحياة الخاصة تقول غالبية المبحوثات، أن ذلك لا يكون إلا نادرا بينما أقرت الغالبية، بسلطة الأب والأخ الكبيرة، هذا ما يفسر لنا النمط الجديد في التفكير التقليدي الذي كانت فيه سلطة الرجال من أب وأخ وجد وعم وخال وكل الأقارب من الذكور يتدخلون في حياة المرأة مهما بعدت من صلة قرابة.

أما اليوم فقد تحولت الأمور وأخذت منحى آخر يتمثل في غياب سلطة الذكور على المرأة وإن وجدت فتكاد تنحصر في سلطة الأب دون غيره وتعود للأخ بغياب الأب وإلى العم والخال بغياب الأحد عن الآخر.

غياب الأهل يساهم في تحرير المرأة والسماح لها بممارسة حياتها الخاصة كما تشاء، إضافة إلى كون هذه المرحلة من أخطر المراحل العمرية في حياة المرأة، خاصة للمرأة التي عاشت طفولة مضطربة وغير مستقرة.

إضافة إلى كون السلطة المفروضة من طرف الأب والأخ بطريقة تعسفية كونت لدى المرأة نوعا من العدوانية الداخلية حاولت التعبير عنها بغياب هذه السلطة.

1- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية الاجتماعية على الشباب**، مرجع سابق، ص94.

فهي ترى بأنها تحاول الانتقام من الأب والأخ والأسرة على السلطة التي مورست عليها وجعلتها تحت الوصاية على أنها أداة أمر ونهي.

جدول رقم 16: يوضح إجابات المبحوثات حول أهم الأسباب الاجتماعية الدافعة للممارسات الانحرافية

التكرارات / الخيارات	التكرارات	النسب %
أسباب أسرية	43	%43
تأثير جماعة الرفاق	30	%30
البرابول	30	%30
الغضب	08	%08
الفراغ	10	%10

من خلال المعطيات الموضحة في الجدول عبرت المبحوثات على كون الأسباب الأسرية هي الدافع الرئيسي لممارساتهن الانحرافية بنسبة 43%،

في حين عبرت نسبة 30% اللاتي ربطن سلوكاتهن الانحرافية بتأثير جماعة الرفاق، حيث أن للرفاق، أو المصاحبة التفاضلية كما سبق وأشرنا دور كبير في توجيه السلوك الانحرافي.

كما عبرت نفس النسبة أي 30% عن كون السلوك الانحرافي كان بتأثير البرابول، وللإعلام دور كبير في تلقين الناشئة سبل الانحراف الأولية بغياب الرقابة الأسرية يتعزز هذا مع سن المراهقة أين وجدنا بعض الحالات الإدمان مدمنة على متابعة بعض القنوات الإباحية بشكل كبير.

بينما أرجعت نسبة 10% أسباب السلوك الانحرافي إلى وقت الفراغ، حيث أن للوقت وطريقة استهلاكه والتعامل معه نوعا من الحكمة بوجود الإمكانيات.

حيث أن الحي الجامعي يكاد يخلو من وجود أماكن يقضي فيها الفرد أوقات فراغه، وبالتالي تجد الطالبة نفسها عرضة للمؤثرات الخارجية كجماعة الرفاق، والخروج إلى الشارع من أجل التنزه الذي يجعلها تكتشف الكثير من الأمور التي تؤهلها لاقتحام العالم الانحرافي.

في حين عبرت نسبة 08 عن كون الممارسات الانحرافية كانت بدافع الغضب، وهو تعبير عن الدوافع النفسية التي تجعل الإنسان عرضة لاكتساب السلوك الانحرافي، بسبب الغضب وهي تعبير عن ردود فعل غير توافقية سببها الاضطراب الداخلي الذي يسيطر فيه اللامكبوح عن الحالات الانفعالية أساسها الغضب.

5- العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة

للعلاقات الاجتماعية خارج الأسرة ضوابط ظرفية مرهونة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والتطور العلي الذي تعيشه الآن، وكفلسفة جديدة في الفكر والتقبل الاجتماعي ودخولنا عصر العولمة،

تغيرت وتأثرت الأبنية والأنساق الاجتماعية لحتميات جديدة، كتلك التي كانت تستهجن علاقات المرأة بالرجل وإن كانت زمالة، أما إذا تعدتها كانت توصم بالعار ويقام عليها ما يقام من أعراف.

غير أنها اليوم لا تقيد بنفس القيود المتشددة وهذا ما يعرف بالتملص المنسق (évasion)[1] عندما تتوحد العلاقات بين الرجل والمرأة بسبب حتمية العمل فتأخذ طابع الزمالة والصداقة.

وأحيانا أخرى حتمية الشارع بطابع المساعدة (كسائق سيارة الأجرة) أو حتمية التعارف من أجل الزواج على أن لا تتعدى ذلك (كالانتهاكات العرضية) فهناك الضوابط موجودة.

وبالتالي فالتفسير الوحيد لمثل هذه الممارسات التي تتحدى فيه المرأة مجالها الاجتماعي باختراق قوانينه. يصور لنا مدى الصعوبة التامة التي تعيشها المرأة، خلال هذه المرحلة ومدى خطورة هذا الوضع في تأثيره على دور المرأة في المجتمع، وما يمكن أن تحدثه مثل هذه الخروقات، على صعيد التكهنات بمستقبل المجتمعات،

إذ أن آلية المجتمع المحركة لعجلة التنمية هي "المرأة"، خاصة إذا كانت متعلمة، وإن بدى أن العلاقات بين المرأة والرجل تبدأ باختراق الممنوع في مرحلة مبكرة دون وعي منها بنتائج ذلك.

حتى وإن افترضنا أنها واعية للنتائج التي ستصل إليها مستقبلا، هو تعبير صريح عن المعطى الجديد لضمان معايير مشتركة ومعقدة، لأنها نتاج لظروف أسرية واجتماعية خاصة بغياب التنشئة أو بحضورها.

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص70.

دلالة على وجود الشخصية الأنثوية بصفة التحدي للقيم العرفية، وهي مؤشر من مؤشر التحولات الاجتماعية التي يشهدها العالم اليوم في مختلف المجتمعات "بهوية أنثوية ثائرة"[1].

تقول الحالة 05: "علاقتي بالرجال بدأت منذ المرحلة الثانوية، كان لي صديق وبعدها افترقنا، فعقدت الصداقة مع آخر وهكذا تعددت العلاقات"، أي أن البدايات الأولى للعلاقات البريئة، بين الولد والبنت كانت خلال مرحلة حساسة من العمر، مرحلة الثانوية، وأصبحت فيما بعد ضرورة ملحة في حياة الفتاة، فهي تعقد علاقاتها بالرجال متى شاءت ومتى غابت الصداقة القديمة".

على العموم من أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الاستجوابات للعينة المبحوثة حول علاقتها بالرجال، بدا الأمر واضحا أن البداية الأولى كانت خلال المرحلة التعليمية إما في مرحلة المتوسط أو الثانوية.

أين بدت العلاقات في بدايتها الأولى بطابع بريء، لتتحول فيما بعد إلى استجابات لغريزية طبيعية، وأصبح من الصعب على الفتاة تقبل الوحدة، بمعزل عن وجود شريك حياة، يرافقها مراحل حياتها، دون أن تراعي الشروط الإلزامية المفروضة عليها في احترام قانون الجماعة الذي يملي عليها احترام شروط الأسرة والمجتمع، خاصة كتلك المتعلقة بقانون المرأة والرجل المرهون برهان الجماعة العرفية، لتتوسع فيما بعد، بالتحاق الفتاة بالجامعة، وتحديدا بالحي الجامعي أين تزداد المنافسة بين الفتيات في علاقاتهن بالرجال.

1- تعبير شخصي للدلالة أو التعبير عن الهوية الأنثوية الثائرة ضد القيم التي حددت أدوارها وبالتالي حريتها، فهي بهذا الشكل رافضة ثائرة لمنطق الجماعة التقليدية.

6- الموضة والقيم العرفية

الثقافة رمز من رموز النمو الحضاري، فمن كونها وعي وكيان هي امتداد وانبعاث للأصول الإنسانية، غير أن آليات الحفاظ عليها مرهونة بمكانيزمات النقل التي تعمد الشعوب على الحفاظ عليه من خلال التتابع الجيلي، والتي سيعمد الوعي الثقافي لدى المجموعات من الحفاظ عليها .

يكون ذلك جليا من خلال المظهر العام، الذي يبدو في طريقة الكلام واللباس، خاصة باعتبارها أسلوب حياة، يعبر عن طبيعة المجتمع وما يحمله من قيم، وعلاقة ذلك بالامتداد الثقافي والتاريخي للأفراد في تعبير واضح عن مدى الوصل أو الفصل بين الأصيل والحديث.

فخاصة البناء الاجتماعي تكمن في مدى فهم وإدراك الفاعلين فيه لخصوصيات الانتماء، الذي سيظهرون به في لباسهم وطريقة كلامهم.

"أسلوب العيش" هذا، سيتأثر هو الآخر بالحركة التغيرية وبالتالي ما يطرأ عليه "أي أسلوب العيش" سيعرف بالموضة.

"فالموضة لدى الأفراد، تكشف عما يعوضهم عن الإرهاق الذي يتحملونه من جراء خضوعهم زمنا طويلا للعادات الجمعية والفردية، وأسلوب الحياة الرتيب، وهي تساعد على تخطي مراحل الانتقال التي تفرضها عملية التغيير الاجتماعي، كما أنها كثيرا ما تخلق سلسلة من الخطوات التي تمهد لعادات اجتماعية ترسخ رويدا ويكتب لها الدوام، وبهذا تؤدي دورا معينا في صيانة التركيب الاجتماعي وتغير شكله"[1].

1- فوزية دياب، ***القيم والعادات الاجتماعية***، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص228.

فاللباس العام ما كان عاديا غير مبالغ فيه من ناحية التشدد أو التفسخ. كاللباس المحتشم، ويكون غالبا مرتبطا بالذي تتعارف عليه المجموعة التي ينتمي إليها الفرد دون مبالغة، ويكون حضاريا بسيطا وعاديا، غير مثير ولا مريب.

وصفة الاحتشام موازنة لكلمة احترام. وهذا ينطوي على كل المجتمعات باختلافها. (غير أن المجتمعات المنغلقة ذات النمط البدائي والتي لا تعير اهتماما باللباس. وإنما تغطي أجسادها أوراق أشجار وفقط، لذلك نجد التشابه واضحا للذي يرتدي ألبسة فاضحة ميالة للباس العاري، فيقال عنه بدائي الملبس، وهذا شكل بعض الألبسة الحالية والتي يظهر منها كل جزء من أجزاء الجسد خاصة الأنثوي، فيقال عنها ألبسة فاضحة. وكلمة فاضحة نعت يوصف به الشيء عندما يكون مبالغا فيه بطريقة سلبية، وبالتالي تقليل الاحترام).

والموضة في المجتمع الجزائري أصبحت شكلا أو ضربا من ضروب العصرنة وما تتطلبه الحداثة.

فأصبح شكل اللباس والكلام لا يخلو من كلمة "موضة" والتي تعني مواكبة العصر، هو طمس لثقافة مجتمع وأحداث ثقافات جديدة يستجيب لها، حتى من كان يدافع عن القيم الثقافية. كتقبل الأسر على اختلافاتها، طريقة اللباس العصري عند الفتاة كلبس البنطالون الضيق، و"التيشارت" الضيق، والملابس القصيرة والفاضحة، حيث لا يستطيع أحد من الأقارب لا الأب ولا الأم، ولا حتى الإخوة أو الأعمام الوقوف أمام رغبة الفتاة في مثل هذا اللباس

بحجة التعميم أي أن الكل يرتدي هذا اللباس[1]، وهذا ما هو موجود في السوق.

إن مثل هذه التقبلات تفسر لنا هشاشة التركيبة الاجتماعية والثقافية في المجتمع، المعبرة عن طمس للهوية الحقيقية في كل المجتمعات مهما اختلفت، تساعد الفتاة خاصة عندما تتقبل الأسرة رغباتها ببساطة في تكوين شخصية المطالبة بالكثير إلى المطالبة بالحرية في ممارسة حياتها كما ترغب.

حتى أن بعض الأسر اليوم تدرك أن للفتاة صديق، فلا تتلقى أي توبيخ أو تحذير، هذه الاستسلامات من قبل الأسر سمحت في إحداث ثقافة جديدة سميت بثقافة العصر تحت ضغوطات العولمة، وهذا ما يعرف سوسيولوجيا باضطراب المعايير التي تتبناها الأسر والأبناء بمبدأ التعليل للتبرير عن الضعف أمام الإغراءات المادية للمجتمع الحديث.

خلاصة ما جاء في الفصل هو أن للظروف الاجتماعية كتلك المتعلقة بشكل مباشر بالأسرة وظروف التنشئة الاجتماعية، من حيث العلاقات داخل الأسرة وخارجها ودورا التركيبة الهرمية وما تعنيه من حضور وقصور

1- يعطي لنا اللباس في المجتمع المدروس واقعا أخر لمجتمع مصغر(micro-sociologique)، صنعت حدوده وفق مقاييس قيم جديدة، فهو المام لتوجهات و قيم مناطق أجتماعية مختلفة للوطن، والحي الجامعي هو الفضاء الذي تبرز من خلاله شخصية الفرد البعيدة عن ملزمات الامر والنهي و المراقبة، و بالتالي ارتياح الفرد في ابراز ما يؤمن به داخليا يكون واضحا من خلال التغيرات التي تظهر عليه كتلك المتعلقة باللباس(معطى سولاف، ***"الشرف" في المجتمع الجزائري، مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية حول واقع وتمثلات الطالبات الجامعية لحياتها الجنسية***، رسالة ماجستير، "فسم علم الاجتماع"، جامعة السانيا، وهران، 2003-2004، ص24)

الدور الفعلي للوالدين داخل الأسرة بغياب إستراتيجية سليمة في توجيه السلوك الإيجابي للأفراد.

للأسرة دور أساسي في توجيه سلوك الفرد نحو السلوك الانحرافي إلى جانب بعض الدوافع الاجتماعية الأخرى كتأثير جماعة الرفاق، والبرابول، الغضب، وأوقات الفراغ.

الفصل الرابع

الأسبـــاب الاقتصاديـــة للانحـــراف

1. التحولات الجيوسياسية وأثرها على المجتمع الجزائري
2. علاقة الانحراف بالفقر
3. الفقر في الجزائر
4. الوضع الاقتصادي لعينة المجتمع المدروس
5. تقديرات عينة البحث للدخل الشهري للأولياء
6. تقديرات عينة البحث لمصرفها الشهري

ظهر الصراع قويا بين التجمعات الإنسانية منذ القديم ومنذ دخول الفرد حيز العلاقات الاجتماعية باكتشاف الزراعة والموارد الطبيعية والالتفاف حول هذه المكاسب كأساس لتقوية النفوذ من أجل إثبات الغلبة بقوة المال تارة وبقوة الاغتصاب لهذا المال تارة أخرى.

هذا المنطق سوف يتسع ليسود التنظيمات الاجتماعية في شكلها المتحضر ضمن إطار صراع الدول والحضارات من أجل الحصول على موارد مالية تلبي الحاجة الإنسانية والاكتفاء الذاتي والرفاهية.

منذ القديم ظهر هذا الصراع، ومنذ القديم عبر الفرد عن هذه الرغبة الجامحة في النفس البشرية، التي نشرت سيطرة المال كنزعة تواتر مع تعقيد الحياة الاجتماعية وانفتاح العالم على مغريات لم تشهد لها البشرية مثيلا.

هكذا سيصبح الصراع واضحا وعنيفا نحو تحقيق مطالب مادية كانت في معظم الأحيان على حساب القيم والأخلاق الاجتماعية.

"ومنذ القديم، يربط الدارسون بين الحياة الاقتصادية في أي مجتمع، وبين نظام الحياة فيه. كما رأيناهم يربطون –من قبل– بين المعطيات الجغرافية لهذا المجتمع وبين نظام الحياة ذاك، وهو ما رأينا العلامة ابن خلدون يجمعه كله تحت عنوان (العمران البشري) الذي رأيناه يعني –عنده– التفاعل بين الإنسان وعناصر الطبيعة، التي يتشكل منها المكان الجغرافي الذي يعيش فيه أبناء المجتمع"[1].

1– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، من كتاب ***العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر***، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة الشرفية، القاهرة، 1327، ص118.

1-التحولات الجيوسياسية وأثرها على المجتمع الجزائري

انطبع الوجدان الجزائري بالعديد من الهويات الثقافية وتحكمت في صيرورة المجتمع التاريخية مجموعة من المعطيات. فهو مجتمع أمازيغي الأصل، إسلامي الديانة، عربي اللسان والثقافة، متوسطي الفضاء، إفريقي الجوار. فالشعب الجزائري ذو انتماء أمازيغي في الأصل، أسلم مبكرا، وشكلت العروبة همزة وصل بينه وبين الشعوب الأخرى. كما أن موقعه الجغرافي يجعله جزءا لا يتجزأ من ثقافة البحر الأبيض المتوسط، حيث تأثر وأثر في الوقت نفسه في الثقافة المتوسطية (1300 كلم على الساحل المتوسط). كما أن هذا الشعب يتميز بجذور ثقافية إفريقية (ثقافة السود) وذلك نتيجة الوقع الجغرافي الذي تتميز به الجزائر وعلاقتها الوطيدة مع الشعوب الإفريقية[1].

مر المجتمع الجزائري، على غرار المجتمعات الأخرى بمراحل تاريخية حاسمة، عبرت عن عمق التناقضات التي عاشها المجتمع في بعده التاريخي، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

إذ عرفت مرحلة ما بعد الاستقلال صراعات سياسية واجتماعية قوية لم تظهر بوادرها بشكل واضح إلا بعد أحداث أكتوبر 1988.

هذه الأحداث وإن جاءت خلال الفترة المذكورة بالتحديد، فسرت لنا عمق التناقضات التي كان يعيشها هذه المجتمع.

1- محفوظ نحناح، **الجزائر المنشودة**، دون دار النشر، دون سنة نشر، ص 83-84، عن مقام عبد القادر، ثقافة السلام، مرجع سابق ، صفحة 78

فمن مجتمع كان يحمل شعار سياسية الحزب الواحد، دينه الإسلام، لغته العربية، إلى مجتمع منفتح يطالب بالديمقراطية والتعددية، إلى المطالبة بالأمازيغية كلغة ثانية، إلى ظهور أحزاب علمانية تطالب بفصل الدين عن الدولة وأخرى إسلامية تطالب بمبدأ الحاكمية للإسلام، إلى تيار توافقي إلى العديد من الأفكار والموافق، مراحل تعددت وتغير معها المواطن وتفاعل معها وبها.

هذا التحول في التاريخ السياسي للمجتمع الجزائري، لم يكن بالبساطة التي يمكن أن نتصورها وأيضا لم تكن دائما في مستوى طموح المواطن ولا حتى في كثير من التشكيلات.

هكذا تحولت أحداث أكتوبر من أحداث "اجتماعية المطالب" إلى "مطلب سياسي" كانت نتائجه عنيفة ودموية.

عرفت هذه المرحلة بالعشرية السوداء، لما شهده خلالها المجتمع الجزائري من عنف دموي حيث استهدفت فيه كل الأطراف وكل الفئات دون استثناء.

حيال الوضع الاستثنائي هذا، حاولت الدولة وبكل الوسائل البحث عن إستراتيجية من أجل الخروج من هذه الأزمة السياسية والأمنية بكل الطرق والوسائل، كما حاولت التصدي لهذه التيارات الإرهابية، وهذا ما كلف ميزانية الدولة الكثير، دون أن تصل إلى الهدف المنشود وهو الحد من العمل المسلح الذي غذته الحركات المعارضة.

لقد عرف المجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة الكثير من الأحداث المأساوية والدموية شملت بشكل من الأشكال كل الفئات والشرائح.

فلقد تأثر الريف الجزائري والقرى والمداشر الموجودة في الجبال والتي تعاني العزلة والتهميش بشكل مباشر بأعمال العنف المسلح.

حيث وجد الساكنة الريفيون أنفسهم بين نارين: نار الجماعات المسلحة ونار قوى الأمن والجيش التي ترغمهم على الرحيل لمنعهم من إيواء وإطعام هذه الجماعات.

عرف المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة، إحدى أكبر موجات الهجرة نحو المدن التي، وإن لم تكن هذه الأخيرة آمنة كليا، إلا أن وضعهم كان أحسن بكثير من أوضاع الريف لاسيما في المناطق الجبلية.

أدى تواتر الأحداث بهذا الشكل، إلى الاكتظاظ السكاني في المدن وظهور أحزمة سكنية على أطراف المدن التي سرعان ما تحولت إلى أحياء عشوائية. هذا التغير الديموغرافي في المدن كان من نتائجه أن ظهرت زيجات جديدة في المدينة وارتفعت معها نسبة البطالة والفقر، والتسرب المدرسي. وبروز العديد من الممارسات والسلوكات غير المعهودة.

فظهور السرقات، وارتفاع حجم الآفات الاجتماعية من إدمان على المخدرات، وتشرد، وانتشار جنوح الأحداث والجريمة والمتاجرة بالمخدرات، هذه الظروف أدت إلى إحداث اختلالات داخل المجتمع.

هذه التحولات أحدثت رجات وتصدعات على مستوى الفرد والجماعة وانتحب الإحباط واللاتوازن عند الأفراد المتضررين في قضايا الشرف مثلا. إضافة إلى قضايا أخرى تتعلق بفقد الفرد لممتلكاته دون إمكانية العودة إليها واستغلالها على اعتبارها مصدر رزق له، ودخوله دوامة البحث عن ميدان شغل في عالم لا يجيد طريقة التعامل معه.

هذه الأوضاع الناجمة عن هذه التحولات أدت إلى تحول في طريقة التفكير لهؤلاء القادمين من الأرياف والمداشر؛ فهم قد أصبحوا يفكرون بمنطق خاص وأسلوب حياة مغايرة تماما لواقع المدن.

معروفون بالروح الجماعية "وبالعائلة المركبة"، يحصلون على قوت يومهم من أتعابهم الخاصة المرتبطة بما تنتجه الأرض، لا يسمح للمرأة العمل خارج البيت. فهم بهذا الشكل يعبرون على ثقافة الوحدة المرتبطة بالعمق التكويني للأصول الاجتماعية من حيث النشأة. بينما المدينة تفرض نمطا آخرا مخالفا بشكل كلي للنمط القروي، فتكاد كل أسرة تتموقع حول نفسها، والعمل فيها لا يعبر على الروح الجماعية والارتباط الوثيق بالأرض. فالفردنة هي الصفة المكتسبة هنا، لكنه فردانية مرتكبة، لم تتصل من الجماعية كليا ولم تبق عليها كليا أيضا.

كما أن الظروف المعيشية والاقتصادية الصعبة تحتم على المرأة العمل من ناحية، ومن ناحية أخرى المستوى التعليمي للمرأة لا يسمح لها البقاء بالبيت.

هذان النموذجان المتناقضان بين المدينة والريف، أنتجا "صدمة حضارية" للذين حتمت عليهم الظروف اللجوء إلى المدينة ليجدوا أنفسهم في عالم غير العالم الذي ألفوه. هذا الوضع الجديد فرض عليهم العديد من التنازلات، على المستوى القيمي والمعيشي، مما أدى إلى حدوث الكثير من الصراع بين الآباء والأبناء مما أدى إلى انحلال الكثير من الروابط التي كانت تميز طبيعة الريف الجزائري.

هذه الظروف فرضت على السلطة العمل بكثير من الحذر واليقظة محاولة منها إيجاد إستراتيجية إخراج المجتمع مما هو عليه.

لم يتحقق هذا إلا مع الإعلان عن قانون "الوئام المدني" ثم قانون "المصالحة الوطنية"، كمحاولة لامتصاص بقايا العنف المسلح.

2- علاقة الانحراف بالفقر

ما يمكن الإشارة إليه هو عدم وجود تعريف موحد للفقر يقبله الجميع. ففي الماضي القريب، كان الفقر يعرف "بعدم كفاية الدخل لشراء الحد الأدنى من السلع والخدمات" واليوم يفهم هذا المصطلح عادة بصورة أوسع على أنه يعني "عدم توفر القدرات الأساسية للعيش الكريم". ويسلم هذا التعريف بالسمات الأوسع للفقر، مثل الجوع، وتدني مستوى التعليم، والتمييز، والضعف، والاستبعاد الاجتماعي[1].

يعتبر الفقر ظاهرة اجتماعية ملازمة للمسار التاريخي للشعوب، والفقر يعبر عن وجود طبقة الفقراء. وبالتالي، يعتبر الفقر نتيجة اجتماعية متمخضة عن القهر والتسلط الملزم من طرف الطبقة الكادحة، والتي ستمارس فيما بعد كل أشكال الضغوطات من أجل الاستمرار في هذا "التسلط" و"التملك" "الذي يؤدي إلى الإفقار المتزايد".

هذا سيولد بدوره كل أشكال الرفض الاجتماعي لدى الفقراء والذين سيحاولون البحث بكل الطرق وكل الأساليب من أجل الحصول على المال

1- الفقر والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

http : \\www.UMN.cdu/hamanrts/arabic. le 25/03/2009.

بالطرق المشروعة وغير المشروعة، من سرقة، وعنف، وتهرب من القانون والجريمة.

هذه السلوكات هي تعبير صريح من طرف الفرد عن رفضه للواقع الاجتماعي الذي فرض عليه فجعله في زمرة الفقراء. فقد أثبتت الدراسات، أن هناك تلازم طردي بين الفقر والانحراف، فكلما زاد الفقر زاد الانحراف.

"ورد في دراسة كوهن Kohun عام 1955 بأن شباب الطبقة الدنيا يواجهون فرصا كثيرة ليتحولا إلى منحرفين التي ترجع إلى المخاطر الكثيرة التي يتعرضون لها في علاقاتهم مع شباب الطبقات الأخرى"[1].

"وقد أشار عالم الاجتماع الأمريكي "كليفورد لثومين" إلى أن المناطق الفقيرة تتميز بالتفكيك الاجتماعي وأن 60% من الجانحين الأحداث في تلك المدينة (شيكاغو) يأتون من هذه الأحياء التي أسماها مناطق الانحراف"[2].

"فالعادات المتبعة في تنشئة الأطفال في أي ثقافة بما فيها من شدة أولين، أفرادها بطابع يميزهم عن أفراد الثقافة الأخرى. في هذا الصدد يرى (كاردن) Karden أن هذه النظم تكون مسئولة عن تكوين ما يسمى بالشخصية الأساسية في هذه الثقافة، فقد نجد أفراد ثقافة من الثقافات يتميزون بالجشع وحب المال والرغبة في الاستحواذ عليه والتقتير فيه، بينما نجد أفراد ثقافة أخرى يتميزون بالكرم والسماحة"[3].

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص142.

2- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب**، مرجع سابق، ص147.

3- كامل علوان الزبيدي، **علم النفس الاجتماعي**، مرجع سابق، ص16.

3- الفقر في الجزائر

شهد المجتمع الجزائري خلال ما يسمى إعلاميا "بالعشرية السوداء"، أي سنوات التسعينات، مجموعة من التحولات الاجتماعية والثقافية التي أثرت بشكل أو بآخر على الطبيعة الاقتصادية للبلاد، مما أدى إلى بروز الكثير من الظواهر الجديدة، كالنزوح الريفي وتغير الوجه الحقيقي للمدينة، بازدياد الأحياء القصديرية التي أعطت وجها آخر لتجمعات سكانية عكست قيما ومميزات جديدة للمجتمع الجديد.

أمام ازدياد نسبة البطالة وارتفاع مستوى الإقبال على الاستهلاك لدى الأسر، وكذا ارتفاع نسبة التسرب المدرسي، وارتفاع حجم السكان زاد هذا بطريقة طردية إلى ارتفاع نسبة الفقر، وظهور وجه جديد للتمايز الطبقي. وتوجه جديد في المسار الاقتصادي للبلد، من بلد "ينتهج النظام الاشتراكي" إلى بلد تبنى النظام الرأسمالي وهذا أنفت بمصطلحات جديدة: السوق الحرة، التجارة العالمية، العولمة...، إضافة إلى مساعدات صندوق النقد العالمي FMI، من أجل رأسملة القطاع الاقتصادي الوطني.

هذه الظروف أثرت في توجيه السلوك الفردي الاجتماعي مؤديا إلى تبنيه للعديد من القيم التي أثرت عليه التوجهات المادية.

أدى هذا إلى ظهور طبقة من الأغنياء الجدد وطبقة الفقراء الجدد الذين تدحرجت قيمهم الاجتماعية بفعل فقدان مناصب العمل وسبب الغلاء الفاحش وسيطرة قانون السوق وتخلي الدولة عن الدعم الاقتصادي والاستهلاكي.

مما أدى إنتاج آفات اجتماعية كثيرة ومتنوعة، منها ارتفاع نسبة البطالة، السرقة، المخدرات، والانحراف.

هذا ما نلاحظه من خلال الجدول التالي الذي يوضح لنا توزيع الفقر عبر التراب الوطني.

جدول رقم 17: يبين نسبة الفقر حسب بعض ولايات الوطن[1]:

الولاية	النسبة%
تيارت	36% (الأكثر فقرا)
تسمسيلت، أدرار، غليزان	36% (أقل تدهورا من ولاية تيارت)
وهران، تيارت، المدية، تلمسان	5%
الطارف	4% (أغنى ولايت الوطن)

وبناءا على التقرير السنوي حول التنمية البشرية في الجزائر الذي أصدره المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع خبراء برنامج الأمم المتحدة للتنمية فقد تم التوصل إلى أن مؤشر الفقر في الجزائر قد تراجع بين 1995 و2005 من 23,25 إلى 60,26 ويعود السبب في هذا التحسن في مكافحة ظاهرة الفقر إلى مخطط دعم الإنعاش الاقتصادي الأول الذي انطلق سنة 2001 واستمر إلى غاية 2004 ثم الثاني والذي يستمر إلى غاية 2009 بالإضافة إلى المخطط الوطني للتنمية الفلاحية. ويشير نفس التقرير إلى أن

1- عبد المالك حداد، **أي مستقبل للفقراء في الجزائر**...، شبكة النبأ المعلوماتية، 30 تشرين الأول 2006. www.annabaa.org.
عن أ.سعيدي يحيى، أ.مرحومة عبد الحميد، ***ظاهرة الفقر في العالم العربي: أسبابها وانعكاساتها وكيفية معالجتها***، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
http://www.4shored.com/rar/asdc le 29/03/2009.

ثلث الأسر الجزائرية تعاني من متاعب مالية، ومن بين القطاعات التي تزيد من التوتر الاجتماعي وتثقل كاهل الجزائريين هو قطاع التربية[1].

في هذه الظروف يحاول الفرد التخلص من تبعية الفقر، خاصة عند الشريحة الشبانية. وفي هذه المرحلة بالذات، يحدث نوع من الإحساس والإدراك الفعلي لمكانة الفرد في مجتمع وفي أي مستوى هو موجود.

هذا الإحساس الجدي يحاول من خلاله الفرد أحيانا تقبل المعادلة المجتمعية القائلة بوجود (غني/فقير) وأحيانا أخرى يقابل الفرد هذه المعادلة بالرفض لمستواه، فتجده يؤمن بالغنى لا بالفقر الذي هو منه.

من خلال نتائج الدراسة، خلصنا على النحو التالي:

– إن انتقال الطالبة من فضاء ريفي إلى فضاء حضري يعني الانتقال من فضاء لا يعرف التمايز الطبقي، إلى فضاء يظهر فيه هذا التمايز يحدث هذا نوعا من الاكتشاف غير المسبوق عند الطالبة.

تحاول من خلاله الاندماج في المجتمع الجديد الذي أشعرها بنوع من الاغتراب، كي تتمكن من الالتحاق بما يمليه عليها الواقع الجديد، فلا يتحقق ذلك إلا بالاستلاب.

ففيه تستلب الطالبة وتنتشل قيمها العرفية مقابل القبول والرضوخ لبعض المتطلبات من أجل السعي وراء المال مثلا وللحصول على العيش السعيد ومن منطلق برئ من البداية.

فالفرد الفقير المنحدر من طبقة دنيا، جبل على أن يقبل ما عنده ولا يسأل عن حقوقه ويطالب بها لكن غياب المعايير الاجتماعية يذهب إلى البحث

1- نفس المرجع.

عن وسائل منحرفة لكي يحسن وضعه الاقتصادي ويحقق أهدافا غير التي وضعتها له طبقته الدنيا[1].

"يؤثر الفقر تأثيرا مباشرا على حياة الأسرة بل يساهم في خلق مشاكل كثيرة، خاصة في وقتنا الحالي وما أصبح للمادة من دور فعال في دعم حياة الأسرة و في استقرارها"[2].

– نجد الطالبات داخل الحي الجامعي يبدعن في طرق التنافس من أجل كسب المال بكل الطرق. فهن يجدن فتيات التي تحاول أن تبدي فيه دهاءها ومكرها وكيدها وتقنيتها في طرق كسب المال (الاستراتيجيات).

حيث لا يكاد يخلو حديث الفئة المنحرفة داخل الأحياء الجامعية عن المال الذي تكسبه في اليوم كل واحدة بأسلوبها الخاص، وأحيانا أخرى نجد لدى البعض منهن أن شغلهن الشاغل هو تعلم طرق الكسب السريع والعمل بتجارب الأخريات.

هذا ما لاحظناه خلال الطلعات الميدانية، مما يوضح بشكل جلي سيطرة المادة، على فكر وعقل المنحرفات.

تقول الحالة 02 "ماعشتش في دارنا مليح، ماذا بيا نعيش مع صحاباتي بالدراهم وندير كيفهم، الدراهم هما كل شيء عندي، ما تنسيش كل شيء غلا في بلادنا كون ما تكونيش قافزة وعندك الدراهم ما تعيشيش".

أي أن المادة هي بالدرجة الأولى أساس العيش السعيد. وهذا يعبر على تصدع النسق القيمي للأسرة، فلو أن الأسرة وإن كانت فقيرة أدت واجبها في

1- معن خليل العمر، **علم اجتماع الانحراف**، مرجع سابق، ص242.

2- فتيحة كركوش، **ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر**، مرجع سبق ذكره ص34

تعليم أبنائها القناعة والكسب الحلال دون الإلحاح عن تشاؤمهم لأوضاعهم الاجتماعية، لما كانت النتيجة عكس ذلك.

فالتغير الاجتماعي فرض شروطه على الأسر الفقيرة والغنية على السواء وعلى الأفراد، مما لا يدع المجال العام كبيرا أمام بقاء قيمة "القناعة" ككنز لا يفنى.

بل أننا نجد بعض الأسر من ترفض واقعها، فتربى أبناءها على اللاقناعة والسعي وراء كسب المال بكل الطرق كما توضح ذلك الحالة 07: "ماعنديش مشكل نجيب الدراهم من عند الرجال ونديهم للدار، وكي يسقسوني نقول لهم راني نخدم في وهران"؟ !!

يتضح من هنا أن بعض الأسر "تتواطأ" مع أفراد من بناتها في مصدر الرزق ولا تسألهن عن طبيعة هذا العمل إلا من باب "غض الطرف"

فتجد الفتاة تأخذ المال إلى أهلها بطريقة بسيطة ولمجرد السؤال من أين تقول أني أعمل، في حين أصبح سوق العمل وإيجاد عمل في مدينة كبيرة كوهران صعب المنال، والعائلة تدرك ذلك.

فالمفهوم من ذلك أن بعض الأسر تعمد غض الطرف الذي هو شكل من أشكال التواطؤ، ويعود ذلك لأسباب مختلفة وان كان هذا لايبرر بأي شكل من الأشكال اعتبارا لطبيعة المجتمع الذي ننتمي إليه.

من هنا يمكن طرح السؤال التالي: أين دور بعض الأسر من تربية أبنائهم؟ وهل للفقر ذريعة في مثل هذه الحالات؟

دور الأسرة في تنشئة أبنائها يكمن أساسا في الحفاظ على التوازن من الواقع والحاجة، وتساهم في انسجام الأنساق وأداء الأدوار دون خلل، وسلبية التنشئة تؤدي إلى تصدع وتفكك الأدوار داخل النسق الواحد، وهذا ما لاحظناه من خلال المعطيات.

إن ممارسة الدور الاجتماعي هو رهان الحفاظ على النسق العام للمجتمع، وسلبيته تؤدي إلى اختلال الأنماط المجتمعية وهو بتعبير صريح يعني وجود تقرحات ومشاكل داخل البناء الاجتماعي.

هكذا فالحالة 07 وإن عبرت عن واقعها، ومثيلاتها في الحي وهن كثيرات وهذا ما لاحظناه، هو تعبير عن حتمية سوسيولوجية التي تدعي أن سلوك الأفراد محدد بتأثيرات ثقافية واجتماعية.

4- الوضع الاقتصادي لعينة المجتمع المدروس

من خلال معطياتنا الميدانية، اتضح لنا جليا عمق المؤثرات المهنية التي تحدد المستوى الاقتصادي للأولياء المرتبط أحيانا بالمستوى الثقافي والمحدد بتوجيه سلوكات العينة المدروسة. فالوضع الاقتصادي مرهون بالوضع الاجتماعي.

فطالبات المجتمع المدروس أثرت فيهن طبيعة أوليائهن المهنية، والتي تنوعت بين مهنة الفلاحة والتجارة بنسب عالية بالنسبة للآباء. وهو تحصيل واضح لرفض الطالبات لطبيعة آبائهن المهنية.

حيث نجد مهنة الطب والهندسة والتعليم مثلا والمهن الأخرى الراقية غير موجودة لدى عينة المجتمع المدروس والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم 18: توزيع العينة حسب مهنة الأب:

التكرار / مهنة الأب	التكرارات	النسب
موظف إداري	10	%10
تاجر	20	%20
سلك التعليم	06	%06
مهن حرة	09	%09
بطال	20	%20
دون إجابة	06	%06
فلاح	99	%99
المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتضح لنا أن لمهنة الأب دور كبير في توجيه سلوك الفرد إما بوجود المادة، أو بإحداث فراغ الحضور الأبوي في تنشئة أبنائه.

فقد عبرت لنا نسبة 29% عن مهنة الأب الذي يمتهن الفلاحة، كما هو معروف. فللفلاح دخل يعيل به عائلته من جهة ومن جهة أخرى فهو قليل الحضور الجسدي في البيت لطبيعة العمل الذي يتطلب الخروج فجرا والعودة مغربا. أي من الظلمة إلى الظلمة كما يقولون.

هذا بالإضافة إلى المستوى التعليمي المنخفض لدى هذه الفئة في المجتمعات العربية، ذلك أنه نادرا ما تجد فلاحا متعلما.

هذه المؤشرات (الغياب، المستوى التعليمي، المال) ساهمت في تصورنا في توجيه سلوك الفتاة نحو الانحراف.

تلي هذه النسبة مهنة التجارة والبطالة بـــ20%، في مجالين متناقضين "المال" و"غياب المال" يعني هذا أن للمادة تأثير كبير في توجيه سلوكات عينة

المجتمع المدروس بوجود مال والإسراف في كيفية استغلاله، أو غياب المال وطرق البحث عن كسبه.

في حين عبرت نسبة 09% عن كون آبائهن يمتهن المهن الحرة، وفي ذلك مجالان: مجال المهن الحرة المريحة، أي توفر مال، ومجال المهن الحرة غير المستقرة وغير المريحة، أي وجود اضطرابات في الجانب المادي.

ففي كلتا الحالتين، كما سبق وأن أشرنا في مهنة التجارة والبطالة بأشكال متناقضة، يكون للمادة تأثير واضح في توجيه السلوك الانحرافي في عينة المجتمع المدروس.

أما بالنسبة لسلك التعليم فقد عبرت عليه نسبة 06% فإذا كان للمعلم دور كبير في إعداد الناشئة، فكيف كان له أن يخطي في تنشئة أبنائه، وهنا عبرت لنا النسبة عن إخفاق المعلم في تربية أبنائه وتوجيه سلوكهم نحو الأحسن.

وإما أن التربية كانت سليمة إلا أن للشخصية دور كبير في توجيه سلوك العينة إضافة إلى المكانة الاجتماعية والاقتصادية المحدودة للمعلم. كما يعبر ذلك أيضا على تقاطع مهنة الأب (تعليم) مع "قلة المال" وهذا يعطي انطباعا أن المعلم يمثل "الفقير" في جانب من الجوانب.

هذا المؤشر يشير أيضا إلى تضعضع الطبقة الوسطى (الموظفون والمتعلمون أساسا) لتلتحق بالطبقة الدنيا في مجتمع ينحوا نحو شكل طبقتين أساسيتين.

طبقة قليلة غنية، وطبقة واسعة فقيرة، فيما تتقلص قوة الطبقة الوسطى التي كانت هي المسيطرة سابقا. كما هو موضح من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 19: توزيع عينة البحث حسب مهنة الأم :

التكرار / مهنة الأب	التكرارات	النسب
موظف إدارية	10	%10
سلك التعليم	08	%08
بطالة	62	%62
دون إجابة	20	%20
المجموع	100	%100

مهنة الأم غير ضرورية في المجتمعات التقليدية، غير أنه مع التحولات الجديدة وارتفاع المستوى المعيشي أصبح من الضروري مساعدة الأم للأب ماديا، بالرغم من ذلك إلا أنه وفي المناطق الصغرى كالقرى والأرياف، يعد عمل المرأة ضئيلا جدا مقارنة بالمدن الكبرى.

فبما أن عينة المجتمع المدروس كانت نسب الأصل الجغرافي فيها متفاوتة بين الأرياف والقوى خاصة، نجد عمل المرأة ضئيل، حيث عبرت نسبة 62% على كون الأمهات بطالات.

في حين عبرت نسبة 10% كون الأم موظفة إدارية مقابل 08% في سلك التعليم، هو تعبير واضح على غياب الأم في تنشئة أبنائها لأن حضور الأم إلزامي في المرحلة التكوينية للطفل، قد يكون هذا الغياب من بين الأسباب المساعدة في توجيه سلوك العينة نحو "الانحراف".

5- تقديرات عينة البحث للدخل الشهري للأولياء

1.5- الآباء: [30.000 دج و 70.000 دج]

من خلال التصريحات يبدو أنه من الصعب جدا على الأولياء الكشف عن رواتبهن لأبنائهن لحساسية ذلك، إلا أن العينة قدرت دخل الشهري للآباء بين 30.000دج و 70.000 دج .

هو تعبير واضح عن التفاوتات المادية بين آباء عينة المجتمع المدروس المتفاوتة بين القلة التي لا تكفي لتغطية متطلبات الأسرة خاصة إذا كانت الأسرة كبيرة العدد، وبين الوفرة حتى بلغت 70.000دج.

فيما لم تتمكن المبحوثات من تحديد الدخل الشهري، إضافة إلى أن الآباء الفلاحين والتجار لا يمكن تقدير مداخلهم بسهولة.

2.5- الأمهات: [28.000 دج و 45.000 دج]

بنفس الرؤية، عند تحديد الدخل الشهري للآباء نلاحظ أن تقديرات المبحوثات لدخل الأمهات تراوحت ما بين 28.000 دج و45.000دج، فهي متفاوتة غير أن الراتب ما بين 28.000 دج إلى 45.000دج قد لا يكون كافيا لتغطية متطلبات الأسرة لاسيما إذا كان الأب بطالا.

في حين ينعدم الدخل عند الأمهات البطالات لدى المبحوثات.

6- تقديرات عينة البحث لمصرفها الشهري

[5.000 دج و 10.000دج] تقدر عينة المجتمع المدروس مصروفها الشهري بين 5.000 دج و10.000دج، وهي تقديرات مرتفعة جدا، لأن من الصعب جدا على الأسرة توفير مثل هذه المبالغ خلال الشهر إذا أخذنا بعين الاعتبار دخل الأسرة الشهري للأب والأم

فكيف يكون الحل إذا كان الأب والأم بطالين، هذا إضافة إذا ما كان حجم الأسرة كبيرا، مع الأخذ بعين الاعتبار أيضا المستوى المعيشي للمجتمع الجزائري المتزايد باستمرار بالإضافة إلى التزامات أخرى كالإيجار والقروض مثلا.

إذن فالمعنى الحقيقي من مثل هذه التصريحات هو أن المصروف الشهري للعينة المدروس مرهون بالسلوك "الانحرافي" الذي وجهته المادة بشكل واضح، تتحجج به العينة المدروسة كونه سببا رئيسيا من الأسباب الرئيسية التي دفعتها "للانحراف".

هكذا فهي تلجأ إلى طرق أخرى من أجل الحصول على المال. في هذا السياق حيث عبرت نسبة 86% من العينة المدروسة على كون مصروف الأهل لا يكفي مقابل 04% حالات تقول بأن مصروف الأهل كافي في مقابل 10% امتنعت عن الإجابة.

تصريح العينة إذن بكون مصروف الأهل لا يكفي، يعود لأسباب أهمها عدم امتثال الطالبة لطريقة الإنفاق، لأنها تحاول العيش حياة مادية متقدمة وأكثر مما تتطلبه الميزانية الخاصة للأسرة.

ومن أجل توضيح المسألة، طرحنا سؤالا حول من يتكفل بتغطية مصاريف الطالبة، فكانت الإجابات على النحو الموضح في الجدول التالي.

جدول رقم 20: يبين من يتكفل بتغطية مصاريف الطالبة

التكرار / الخيارات	التكرارات	النسب
الأب	86	%86
الأم	10	%10
الأخ	00	%00
الأخت	02	%02
الصديق	60	%60

يتضح من خلال الأرقام أن 60% من المبحوثات يعبرن على كون الصديق هو المتكفل الأول بتغطية مصاريف الطالبة، مخترقة بذلك المكانة الأنثوية وما تمليه الشروط العرفية،

أمام 86% تقول أن الأب هو المتكفل بتغطية المصاريف بأحوال متناقضة، فهناك من تأخذ مصروفها من الأب والصديق على أساس تغطية تكاليفها المادية. وهذا توجه آخر في الطرح الأنثوي في اكتساب معتقدات لا حدود فيها للقناعة ولا لأصول المنظومة العرفية،

في حين عبرت 10 حالات منهن على أن مصروفها يقع على عاتق الأم. يحدث هذا إما بفعل غياب الأب عن طريق الوفاة أو الطلاق، أو بفعل البطالة.

فيما عبرت 02 منهن على كون الأخت هي التي تقوم بتغطية مصاريف الطالبة، إلا أنه رغم حضور الأب والأم أو الأخت، إلا أن هذا لم يمنع من وجود أو اندماج الطالبة ضمن زمرة "المنحرفات".

وهو تعبير صريح عن سيطرة المادة على المعتقد الأنثوي، وهو توجه جديد في المعتقد المجتمعي في المجتمعات العربية والإسلامية على حد السواء. [1].

1- مصطفى التواتي، ***التعبير الديني عن الصراع الاجتماعي في الإسلام***، ط2، دار الفارابي، 2003، بيروت، لبنان، ص14.

الفصل الخامس

الأسبـــــاب الثقافيـــة للانحـــراف

1- علاقة المستوى الثقافي للوالدين بتوجيه سلوك عينة المجتمع المدروس
2- الدين والتغير الاجتماعي
3- أزمة الهوية ضمن المجال المدروس
4- علاقة الانحراف بالأصل الجغرافي

ترسم الثقافة بكل الأبعاد المعبرة عنها واقع الشعوب من منطلقات نشئوية للجماعة من حيث الدين، العادات، التقاليد، الأعراف، التراث، الصراع... وكل ما هو مرتبط بالموروث الثقافي.

فقد ظلت السمات الشخصية والقومية منذ الأزل ترسم واقع الصراع الثقافي من أجل إثبات الحفاظ على الرموز القومية والشعبية وإعطائها صفة الديمومة.

هذا من خلال الحفاظ والحرص على نقلها للأجيال غير أن استمرارية هذا النقل، لا تكون إلا من خلال إعداد خطة محكمة تقوم على أساس البعد الأخلاقي الذي يورث إلى الأجيال عبر حلقة المنقول من خلال الحفاظ على مجموع القيم المتوارثة من الأجداد والآباء.

أن أية قطيعة قد تحدث من الأجيال في الجوهر قطيعة ممهدة لطمس سمات الثقافة للمجموعات البشرية، وهذا ما عانت منه دول وأقوام عبر التاريخ.

لذا كان من الواجب أحيانا إعداد خطة محكمة من أجل الحفاظ على نقل الموروث ضمن حلقة الصراع الذي تشهده شعوب العالم أو ما يعرف بالصراع ألجيلي.

قد يبرهن التعليم وما يحويه من برامج تعليمية تكون حاملة لمعيار قيم الناشئة من الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، أساسا ثقيلا في إعداد هم بوعي ثقافي يكون الشخصية الفردية الحاملة للقيم الثقافية بإرادة طوعية مفهومة وسليمة.

تعبر له عن نمطية المعتقد الذي يجسد كينونته انطلاقا من المحيط الذي ينتمي إليه والواقع الذي سيصطدم به دون أن يكون لهذا الاصطدام تأثير على القيمة الرمزية التي يتمتع بها الفرد.

وبالتالي يظهر لنا التعليم والتربية أساسان مهمان في الحفاظ على الثقافة كموروث والفرد كآلية من آليات نقل الموروث الثقافي والحفاظ عليه، لتجسيد الحضور الفعلي للجماعة التي ينتمي إليها.

في هذا السياق يرى "مالينوفكسي" في كتابه "ديناميات التغير الثقافي" أن للثقافة بعدا تاريخيا يمارس تأثيرا مباشرا على الشخصية ولكن الثقافات نفسها تحمل دائما طابع المزاج الشعبي وتعكس سمات الشخصية الفردية والقومية[1].

فإذا كان الفرد ككائن اجتماعي، مرتبط دوما بمحيطه الاجتماعي، فإن ذلك سيؤثر حتما على بنيته العقلية (يعني الشخصية القاعدية) هذه الأخيرة التي تمثل إلى حد كبير بالنسبة إلى الإنسان العربي نتاج تأثير المؤسسات والمعتقدات الدينية والتي شكلت إلى حد ما، نظاما تربويا ضمن محيطه الثقافي. الذي كان يقدم له تصورا على العالم وأنماطا من السلوك على مختلف الأصعدة الاجتماعية، كما هو معروف. لذلك فإن دراسة حضارة مجتمع ما أو جماعة اجتماعية خاصة من حيث هي كلية، وبناء تصور أو نموذج مثالي عنها كان هو مسعى "ماكس فيبر" نفسه في الأخلاق البروتستانية وروح الرأسمالية[2]. وللتعليم دور كبير في السمو بالعقول البشرية إلى التنوير.

1- محمد العربي ولد خليفة، **المفاهيم الحضارية للمدرسة والجامعة**، مرجع سبق ذكره، ص 139.

2- Max Weber, ***l'éthique protestante et l'esprit du capitalisme***, Plon, Paris, 1964

1-علاقة المستوى الثقافي للوالدين بتوجيه سلوك عينة المجتمع المدروس.

للوعي الثقافي دور في الهام الفرد آلية تسيير حياته وفق التزامن مع متطلبات الحياة الاجتماعية وما تطلبه من حكمة لتسيير الأمور المخولة إليه من أجل الأداء السليم، والمتوافق مع الآخرين.

إذ أن المستوى الثقافي سيساعد الفرد في تسيير شؤون الحياة، وهذا ما لاحظناه من خلال علاقة المستوى الثقافي للآباء ومدى توجيه سلوك الأبناء.

جدول رقم 21: المستوى التعليمي عند الآباء

المستوى	التكرار	النسبة%
مسجدي	20	%20
ابتدائي	05	%05
متوسط	25	%26
ثانوي	26	%26
جامعة	10	%10
دون مستوى	04	%04
دون إجابة	10	%10
المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتضح أن نسبة 26% و25% من المبحوثات، ينحدرن من أبوين ذي المستوى الثانوي والمتوسط بالتتالي، وهذا المستوى الثقافي للآباء مرتبط بطبيعة المهن الممارسة كما سبق وأشرنا.

فلا يمكن اعتبار المستوى الثانوي والمتوسط، في الوقت الراهن كاف لإعداد الأفراد لأداء واجباتهم الاجتماعية والأسرية خاصة في المستقبل، وهو مرتبط بشكل أو بآخر بطبيعة المجتمع الثقافية والتعليمية.

مقابل ذلك عبرت نسبة 20% على مستوى الآباء مسجدي، على اعتبار أن المسجد، ونقصد بذلك الكتاب لا يؤدي دوره التوعوي من أجل إعداد الفرد مستقبلا، إذ أن دور الكتاب يكاد يقتصر على حفظ القرآن وفقط دون شرحه وتوضيح أهدافه الاجتماعية والثقافية.

كما عبرت نسبة 10% منهن على أنهم ينحدرن من آباء ذوي المستوى الجامعي، غير أن هذه النسبة وإن كانت معتبرة إلا أن دورها داخل الأسرة في توجيه السلوك الحسن لم يكن معبرا على هذا المستوى الواعي للفرد،

لأن المستوى الجامعي، بدرجاته المتفاوتة يدخل ضمن الإطار المؤهل لإعداد الفرد لأداء حياته، على مختلف الأصعدة بطريقة سليمة فيها نوعا من الحكمة والاجتهاد محددة بدرجة الوعي الذي يميزه عن الآخرين.

ما يمكن استخلاصه، أن المستوى الثقافي للآباء المتنوع بين المستويات الثانوية والجامعية والمسجدية، لم يتمكن من ضبط سلوكات الأبناء داخل الأسرة أو خارجها، وكان لهذا الأخير دور واضح في توجيه السلوك الانحرافي للأبناء.

من هنا يمكننا أن نتساءل حول النموذج الذي يمكن إعداده للآباء من أجل إعدادهم لأداء أدوارهم الاجتماعية منها الأسرية ،خاصة من أجل الحفاظ على النسق العام للمجموعات الاجتماعية، في طابعها الثقافي المتأصل من الأبعاد التاريخية للتشكيلات الاجتماعية.

جدول رقم 22: المستوى التعليمي للام

المستوى	التكرار	النسبة%
مسجدي	04	%04
ابتدائي	10	%10
متوسط	10	%10
ثانوي	20	%20
جامعة	06	%06
دون مستوى	10	%10
دون إجابة	40	%40
المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتضح كيف أن نسبة 20% من المبحوثات ينحدرن من أمهات لديهن المستوى الثانوي من التعليم، وهو مستوى يساعد الأم على فهم واجبها الأسري في تربية أبنائها وتنشئتهن في أحسن الظروف كون المستوى يلعب دورا فعالا كثيرا في تفعيل دينامية أسرية حسنة.

إضافة إلى نسبة 06% منهن ممن ينحدرن من أمهات ذوات مستوى جامعي وهو عامل إضافي تحسيني لأداء الأمهات وفهم واجبهن الأسري،

كما نلاحظ أن نسبة 10% منهن أمهاتهن هن بمستوى الابتدائي والمتوسطي.

فيما عبرت 04% مستوى أمهاتهن مسجدي، يؤشر هذا إلى الأصل الجغرافي للعينة المدروسة، حيث كانت الغالبية تقطن بالمدن الصغيرة والقرى والأرياف.

وبالتالي فالطابع التقليدي مسيطر بشكل واضح، كذلك المرتبط بتحديد مستوى المرأة التعليمي ومنعها من متابعة دراساتها.

يعود ذلك لأسباب مختلفة نذكر منها، إما لبعد المدارس وغياب النقل، وإما لان الطابع العرفي المسيطر يمنع الفتاة من التعليم وخروجها من البيت وحدها.

في هذا السياق يلاحظ ""أحمد كريز" أن الأم الجاهلة لها دور في جهلها التربوي فتؤثر سلبا بتوجيه الأولاد، ولها دور بارز في تربية الأولاد، مما يؤدي بهم إلى "الانحراف"" [1].

فدور الأم الجاهلة في البيتين يجعلها عرضة للوقوع في الكثير من الاختلالات اللامتوازية، في أداء مهامها التربوية والثقافية، من اجل الناشئة فقد تغفو على الكثير من الأخطاء التي يقع فيها الأبناء، وبالتالي قد يأخذون مثل هذه الأساليب على أنها صواب.

"وكثيرا ما يشكو بعض الأزواج من تدني المستوى العلمي والثقافي لزوجاتهم لجهلهن، وتكون مثل هذه الشكوى في الكثير من الأحيان بوابة بالنسبة لهؤولاء الأزواج للتذم، والبحث عن السعادة والانسجام المفقود في علاقات خارج السياق الأسري وذلك على حساب بناء واستقرار الأسرة ككل، ومن هذه الفوارق التي تكون عند البعض أسباب هلاك الحياة الزوجية والأسرية"[2].

1-فتيحة كركوش، **ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر**، مرجع سابق،ص 36

2-المرجع السابق، ص 37

ومنه يمكن القول أنه كلما انخفض المستوى التعليمي للفرد كان ذلك مؤشرا على الحالات المستقبلية اللاتوافقية التي يعاني منها بسبب عدم الكفاية المرجعية التي تمكن من إدراك الضوابط السلوكية، لتضعه في حيرة من أمره حول اختيار الاستجوابات السلوكية التي تتوافق والمواقف الاجتماعية.

" بالتالي فإن المدرسة هي تلك الآلية التي ابتدعتها المجتمعات الإنسانية لتحقيق الضبط الاجتماعي، والمحافظة على استمرارية الثقافة المجتمعية لذا فإنه يمكن القول إن الأنومية الاجتماعية تحدث نتيجة لذلك الإخفاق في النسق التربوي التعليمي وبالضبط في أدائه للوظائف المطلوبة منه"[1].

2- الدين والتغير الاجتماعي:

ترسم لنا حركة التتابع الجيلي والزماني التي يشهدها التاريخ الإنساني خطوات التغير على كل المستويات التي تعرفها المجتمعات من منطلقات دينية وأخرى أخلاقية، عرفية تصوراتية، معمارية.

فقد نمت هذه الأخيرة مع البشرية عبر مراحلها المختلفة وصولا إلى العولمة والعالمية. وما احتدام الصراع القيمي الذي تشهده المجتمعات بين الاضمحلال والغياب والحضور ثم البقاء، إلا نتاج لحركية التاريخ التابعة ضمن حركة التغيير وفق مبدأ الصراع وفرض قيم مجتمعات قوية على قيم مجتمعات أخرى ضعيفة.

1- بوبيدي لامية، **انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري**، مرجع سابق، صفحة 251.

لقد سطر واقع وحضور القيم الاجتماعية وفق آلية التركيبة الحضارية المشكلة لشبكة العلاقة المحدثة بين الأفراد والجماعات من خلال مجموع القواعد، التي انبت على وجوبها كل تشكيلة، عرفت بخصوصية النسيج المعبر عن الانتماء للمجموعات، باختلافات أسسها الدين، العرق، الانتماء الجغرافي، اللغة والعادات والتقاليد.

مقابل ذلك التنوع، نجد أن الدين الذي وحد العديد من الجماعات، رغم وجود الاختلافات المعبرة عن النسيج الواحد، يؤكد لنا دور المعتقد كأساس جوهري في ربط المجموعات فيما بينهما.

وإحداث آليات تغيير قائمة على مجموع التفسيرات المشتركة من منطلق البحث عن الحقيقة التي تربط بين العبد وربه من جهة كأساس فعال وعلاقة العبد بالعبد وفق المطلب الممنوع والمسموح باسم التعالي والصيغة الإنسانية السمحة.

ضمن هذا السياق يركز مالك بن نبي في أبحاثه على كون الدين فاعل ومحرك لآلية التغيير التي تشهدها الحضارات، والدين بالنسبة إلى مالك بن نبي هو العلاقة التي يدركها الفرد في إطار ما يحدث من تفاعل بين الفرد وربه، في أبلغ معاني علاقة الترابط هذه.

فالحضارات على اختلافتها تشهد هذا التنوع التاريخي من خلال حركة التغيير المستمرة بين الجماعة والفرد، والمتمثلة فيما يمكن للفاعل فيها أن يحدثه.

فالفرد الواعي، هو واعي لما يشارك به في هذا التحرك، والفرد غير الواعي والمجوف داخليا، الذي رهن حياته إلى متطلبات المادة ومغرياتها،

حتما سيؤدى إلى ضياع في الحياة، وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي وسماه "بالحضارة الشيئية" أو المادية الشيئية.

مقابل ذلك عبر ماركس عن الدين كونه "أفيون الشعوب" والذي ينطبق في الأساس على المجتمعات الغربية دون العربية.

ليبقى الدين رغم الطرحات المتفاوتة في تفسير عمق المعنى فيه حول أدائه الوظيفي والعقائدي، إلا أنه يعني في العمق المطروح للمعنى، يعبر عن أن للدين دور الترسيخ والتثبيت لدى الأفراد في الالتفاف حول منطق فكري تصوري، يدخل كل فرد من أفراد الجماعة في إطار متناسق ومتناغم ومتلاحم، يعبر عن هذا التوحد الاستسلام والإيمان المطلق للمعتقد والدين.

"وهو غالبا ما يتناقض مع النظرة المادية العلمية، ومع تطور المجتمع"[1]، كما تقول المدرسة الماركسية.

فالتغير الاجتماعي، يعني إحداث تحولات بأشكالها العميقة والبسيطة، إن التغير يحمل الصبغة الإلزامية في الحلقة التاريخية عبر الاستمرارية المطلقة والملزمة لآلية التصادم والتضارب بين الشعوب والحضارات.

وهذا بين الأفكار والمعتقدات، وبالتالي إنتاج شبكة علاقات جديدة ومنظومة قيم أخلاقية مغايرة في الشكل أو الجوهر حسب طبيعة ودرجة التغيير.

وإذا جاز لنا أن نتحدث على المثل العليا بطريقة الحفاظ عليها ضمن حلقة التغيير، جاز لنا أيضا أن نتحدث عن الدين بتنوعه المطروح بين الجماعات.

1- د.والتر رودني، ***أوروبا والتخلف في إفريقيا***، ترجمة د.أحمد القصير، مراجعة د.إبراهيم عثمان سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1988، ص56.

هذا الدين الذي جاء من أجل السمو بالأخلاق الإنسانية ومحاولة الحفاظ عليها.

فالدين بحضوره لدى المجموعات البشرية، أعطى صيغة التحكم في الغرائز الذاتية وكبحها من أجل السيطرة على العالم المادي المدرك بالإرادة البشرية، بحبه وحب الوصول إليه بكل الطرق.

من أجل الاستجابة للغريزة الداخلية لدى الفرد وهذا مؤداه أن الرغبة في التشبع بهذه الطبيعة تدفع الفرد إلى الانغماس في العالم المادي.

"من هذا المنطلق سوف ننتقل الآن إلى عدد من الأسئلة الحساسة وضعت خصيصا لكشف مدى تدين المبحوثات، وذلك انطلاقا من الفكرة أن الشباب الذي يمارس شعائر الدين من صوم وصلاة، هو أقل ميلا إلى "الانحراف" من الذي لا يمارس هذه الشعائر، إننا نقبل صدق الفرضية القائلة أن الدين الإسلامي والارتباط به يمكن أن يكون مانعا قويا في طريق انزلاق الشاب إلى "الانحراف"" [1]. والجدول التالي يوضح نسب التدين لدى العينة المبحوثة.

جدول رقم 23: قيام المبحوثات بالصلاة

هل تصلين	التكرار	النسبة%
نعم	45	%45
لا	25	%25
بدون إجابة	30	%30
المجموع	100	%100

1- علي بوعناقة، **الأحياء المخططة وانعكاساتها النفسية الاجتماعية على الشباب**، مرجع سابق، ص118.

من خلال الجدول ومما قدمناه من تحليل لواقع "الانحراف" في المجتمع المدروس يتضح لنا جزء من الحقيقة المغيبة في معتقد شباب المجتمعات العربية، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

الذي يرى فيه الفرد أن قواعد الدين مرتبطة بالممارسات التقليدية "أي عن طريق التقليد" المتمثلة في الصلاة، الصوم، الزكاة.. وبعض الممارسات الدينية الأخرى دون إدراك منه لمعنى كل ركن من هذه الأركان، والتي تعني للفرد إن كان يصلي فإن صلاته تمنعه من ممارسات الكثير من السلوكات المحرمة دينيا "إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر".

فقد عبرت نسبة 45% من مجتمع الدراسة أي الطالبات اللائي يمارسن التدخين ويتناولن مخدرات ويقبلن على سهرات ليلية، والخروج مع الأصدقاء وفي نفس الوقت يمارسن الصلاة.

هذه الثنائية "اللائكية" لا تبدو وكأنها تشكل تناقضا صارخا بين مفهوم التدين في مستواه الأدنى (الصلاة والصوم...) لدى المبحوثات، فهن يزاوجن بين النقيضين في العرف العام، وعليه فمن تنعت بالمنحرفة عرفيا لا تعتبر نفسها كذلك بحكم أن المعايير تختلف والقيم هي الأخرى لا تشكل إجماعا بين المجتمع ككل والأفراد كلهم.

وجود نوع من التناقض الصريح بين المجالين الممارسين أي بين الصلاة (العبادة) وبين فعل "السلوك الانحرافي"، وكأن الصلاة ليست بالرادع لمثل هذه التصرفات.

إن مثل هذه المعتقدات تعني أحداث الكثير من التغيرات في المجتمع ليس على المعتقدات العرفية لمنظومة الأخلاق وإنما هو تحدٍ واضح حتى

للممنوعات الشرعية بقبول المأمور "الصلاة" وعدم الامتناع عن المنهي عنه، في جوهر الأمر المتناقض يعني إما عدم الإدراك لخصوصية كل مجال، وأما هو تحدي صريح لمجالات الدين.

3- أزمة الهوية وصراع الأجيال

تنعكس الأطر الفكرية في المجتمعات معبرة عن حاجات الفرد والجماعة راسمة معايير التراث، عاكسة للقيم الثقافية، مترجمة للواقع المعاش، حاملة لطموحات وتطلعات.

يحاول من خلالها الفرد إثبات ذاته بما لديه وما هو عليه، أو بما هو متأثر له منبهر به، يجعله كائنا "مسلوبا"، يحاول تكسير القيم التي فرضت عليه راضخا لحتميات العولمة.

هكذا تبدو "الهوية" متشكلة من كل هذه العناصر الفردية والجماعية ذلك أن "الهوية" من حيث الاشتقاق اللغوي عبارة مركبة من ضمير الغائب "هو" ومميزاته التي يعرف بها، و الهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات و مواصفات و خصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه[1].

1- بن نعمان أحمد، **الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات**، دار الأمة ، الجزائر،1996 ، ص 19.

فالهوية، بكل ما تحمله من دلالات تاريخية، تظل مع الوقت تعبر عن إستراتيجية "المتعة الإنسانية"*التي يتوق كل فرد للدفاع باسم الرموز التي جعلت له كيانا أصبح قائما متميزا بخصوصياته.

فالصراعات التاريخية تثبت مدى قدسية المعنى من حيث النشوء والوجود الكياني .

أكثر هذه الصراعات خطرا هو الصراع الثقافي الذي يدخل الفرد ضمن حلقة الصراع المستمرة في جدلية الحفاظ على الموروث وطريقة نقله أمام موجة المد الغربي الحاملة لمعايير الحضارة والتقدم ومحاولة إخضاع العالم والسيطرة عليه باسم العولمة، وبمقاييس هوياتية جديدة، تكسر من خلالها رموز الهويات الأخرى.

فاستعمال مفهـــوم "الهوية" في مجال هذا البحث، يعني التأكيد على أنماط التنظيم التي تستعملها عينة الدراسة في التمثلات التي تكونها عن نفسها -تمثل الذات- وفي التمثلات التي تكونها عن الجماعات التي تنتمي إليها، بحيث إن الهوية في هذا المعنى لا يمكن أن يتم تصورها إلا من خلال ذلك النزوع نحو الانتماء إلى جماعة ما أو إلى جماعات متعددة، ذلك أن عملية الانضمام إلى أفراد آخرين لا بد أن تتأسس عبر القدرة على عقد مقارنة

* المتعة الإنسانية، اصطلاح شخصي للتعبير عن المعنى العميق الذي يشعر به الفرد الذي يحاول التعبير عن صدق المشاعر الداخلية التي يحاول التعبير عليها انطلاقا من معتقداته الخاصة التي تبلور مجموع القيم التي يكتسبها من الجماعة التي ينتمي إليها.
وبالتالي يؤدي هذا الشعور بالانضمام أو الانتماء إلى الجماعة إحساسا يولد لدى الفرد نوعا من المتعة واللذة معبرا بالرموز التي يحملها وبالانتماء الذي ينتمي إليه، فيحاول الفرد من خلال ذلك إثبات هذه المتعة من خلال المهراجانات التراثية أو محاولة الحفاظ على طقوس الزواج، الختان، الموت، والشعور بالمتعة الإنسانية يدخل الفرد في شبكة علائقية قوية بينه وبين أفراد مجموعته، أو بينه وبين الأرض التي ينتمي إليها ويظهر ذلك من خلال الدفاع عن الهوية الوطنية والموت في سبيل الوطن عن قناعات ثابتة وقوية.

اجتماعية، كما يبين ذلك الباحثون التجريبيون أمثال شاتر (S.Schater) وغيرها في هذا المجال[1].

بالتالي، يمكننا أن نعرف الهوية حسب مجالات التخصص المختلفة بين الانثروبولوجية، علم الاجتماع و علم النفس، ذلك أن كل تخصص يحاول أن يعطي تعريفا متعلقا به، فالهوية في الانثروبولوجية تعني الارتباط الكلي بمسألة نشوء المجتمعات في عمقها التقليدي المتشكل من مجموع الاعتقادات والتصورات و الأعراف والدين والأخلاق.

بينما تعني الهوية في علم النفس الارتباط بالمشاعر والأحاسيس الداخلية لدى الفرد في تناغم واضح بين الأنا، الأنا الأعلى و الهوى.

تعريف الهوية لدى علماء الاجتماع مرتبط بما يصدر من الجماعات والفرد من سلوكات تعبيرية تظهر في الكلام، اللباس و أسلوب الحياة.

"ومن جانب أخر، نجد الهوية تحدث مفارقة، لكونها فردية واجتماعية في ذات الوقت، كون الإنسان وهو يتكفل بهويته لنفسه فهو في نفس الوقت يفعل ذلك من أجل الآخرين"[2]، وما ورد عن « sartar.j.p » يقوي هذا المعنى عندما يقول:

Nous ne sommes nous qu'aux yeux des autres, c'est à partir des autres que nous assumons comme nous, cité par codol, j,p[3]

"نحن لسنا نحن إلا أعين الآخرين، ومن خلال الآخرين نشعر أننا نحن"

1- مصطفى جدية، **التنشئة الاجتماعية والهوية**، مرجع سابق ص194.

2-محمد مسلم، **الهوية و العولمة**، دار الغرب للنشر و التوزيع،الجزائر، ص09

3-Chebal .m, la formation de l'identité politique, puf, paris,1986,p21, in نفس المرجع .

من هذا الطرح المفسر على أساس الصراع الحضاري الذي عاشه الإنسان عبر التاريخ من أجل تثبيت قيم تارة، وتغيير قيم أخرى تارة أخرى، أنتج هذا الصراع الحضاري العديد من الأشكال القيمية للمجتمعات التي تأثرت بتغيير واضح لأشكال المجموعات البشرية، وعرف على أساسها العالم نوعا من التقدم و التحضر.

هكذا فإننا على سبيل المثال نجد مفهوم المواطنة الذي طرح مع الإغريق على أساس الاحترام المتبادل بين الأفراد، وإضفاء صبغة الحرية والمساواة.

ينتقل إلى نهضة أخرى عرفها عصر الأنوار و محاولة الفكر البشري الجادة في إيجاد فلسفة تصحيحية لما علق من أوهام بالعقول البشرية خاصة من الناحية الدينية،

كما أنه في عصر النهضة سوف تحدث قفزة نوعية في التفكير البشري مع محاولة الإنسان النهوض بالجانب الصناعي، ثم إلى النقلة النوعية في عصر التقلبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بجميع المستويات، باسم العولمة والتكنولوجيا.

هذه النزعة سوف تكون محاولة لإضفاء صبغة القيم الموحدة باختزال كل القيم الثقافية الأخرى وبالتالي إحداث ما يعرف بالصراع الثقافي القيمي و التكنولوجي المادي بلباس العولمة التي أثرت بشكل بارز في تغيير منظومة القيم العرفية في كل المجتمعات الإنسانية.

يظهر ذلك من خلال تمثلات طالبات الأحياء الجامعية لنظرة المجتمع لهن، واللواتي عبرن عنها بالنظرة السلبية، والتي سعت بها الفتاة كونها "ابنة

الحي" les filles de la cité، هذا التمثل ألاعتقادي لدى الطالبة يشكل لديها الإحساس بإثبات الذات انطلاقا من إنتاج هوية معارضة للهوية الجماعية التي يصفها بالسلبية.

هذا التعارض يبدأ بتصورات متأثرة ببعض المؤثرات كتلك التي ترى في أن الحصول على الشهادات العليا والانفتاح الثقافي من شأنها أن يمنحها الحرية والتحرر و الانعتاق مما تمليه عليها الأسرة.

خاصة إذا كانت الفتاة تنتمي إلى أسرة يكون فيها المستوى الدراسي للوالدين محدودا ومستوى العيش بسيطا.

"فالشباب عموما يتميزون بكونهم أكثر تفتحا وثقافة ومستوى دراسيا مرتفعا عن آبائهم. كما أنهم يشعرون بأنهم أكثر "وعيا" وشعورا بقدراتهم وبمدى اهتمام أسرهم، ومجتمعهم بهم مقابل الآباء الذين يمثلون جيل الماضي العاجز عن فهم مشاكله ومشاكل العالم من حوله، الشيء الذي يترتب عنه تصدع العلاقات بين الجيلين، كون الشباب هو الأكثر تعلقا بحريته وتحرر حركاته وأفكاره ونزوعه المتنامي إلى التخلي عن أفكار الآباء خصوصا فيما يتعلق بالمعتقدات"[1].

هكذا بدا لنا طرح مشكلة الهوية* الفردية والجماعية، داخل المجال المدروس. وأشرنا إلى تسميته بـــ"الهوية المنزلقة"، تعبيرا عن الانزلاق القيمي للأخلاق لدى المرأة في المجتمع العربي على وجه عام والمجتمع الجزائري على وجه خاص.

1- نفس المرجع، ص237-238.

* أنظر كلود دوبار، **أزمة الهوية**، مرجع سابق، من أجل توسيع الفهم حول مجموع المفاهيم الفلسفية المرتبطة بأزمة الهوية كمفهوم الأنا، النحن الشخصية، الذات، الفردانية، العلاقات الاجتماعية عند مختلف علماء الاجتماع Karl Marx, Durkhein, Max Weber, Marcel Mauss

فما تعنيه المرأة في المعتقد العرفي المرتبطة به ككيان وعلاقتها بالشرف والصفاء والطهارة، والعفة، هو تعبير واضح عن القدسية الأنثوية في المعتقد العرفي، أي اختراق فيه سيكون اختراقا واضحا للجماعة وبالتالي اختراق للهوية التقليدية. وما كان التعبير "الانحرافي" في "الممارسات الانحرافية" لدى الفتاة إلا تعبيرا وضحا لهذا الإنتاج الجديد لسلوكات اختلفت وتعارضت مع الأخلاقية القيمية للجماعة.

يتجلى من خلال إبراز حضور الذات، التي عبرت عن التوجه الجديد في الفكر الأنثوي الحديث. نحو التفرد محاولة من الأنثى رفض القانون المفروض عليها من طرف الجماعة والذي غذته مختلف الأسباب التي ذكرناها بالتفصيل في البحث، والتي ستنتج بما يعرف بأزمة الرابط الاجتماعي الذي ينتج عن "رفض المرء إخضاع حياته الخاصة إلى القانون والتحكم الاجتماعي"[1].

هذا التوجه في المعتقد الأنثوي، يعبر عن حركية جديد لدى الأنثى لتأكيد الذات، والتي ستكون أكثر اتساعا وتهديما منها لدى الرجل[2]، فهي تعبير عن الانعتاق من المعايير الملزمة.

وإذا كانت السيطرة الذكورية لا تمثل "ثابتا تاريخيا" لأنها تتعرض حاليا لإعادة نظر جذرية، فهي تمثل حقا "ثابتا جماعاتيا"، أو ما تطلق عليه فرانسواز إيرتيية تسميه "المعادل التمييز بين الجنسين" وهو موجود في كل

1- نفس المرجع، ص137.

2- نفس المرجع، ص127، لتوضيح الفكرة يمكن العودة إلى:

Gauffman, « la femme et le prince charnant », ed Nattan 1999, p165

فحسب كلود دوبار يقول يبدو لي أن هذه الأطروحة عن الدينامية الأنثوية "الهدامة" لتأكيد الذات لا بد أن تتوافق بتمييز بين "الحياة الخاصة" التي تكون فيها الحركة عميقة ومتقدمة ومستمرة، ما أطلق على تسميته النسوية العملية، وبين الحياة العامة، حيث تكون الحركة أكثر بطء واعتباطا وتعقيدا بكثير مع نكوصات تاريخية، إنها حركة من أجل المساواة الحقيقية.

مكان يسيطر فيه المنطق الجماعاتي ويفرض فيه نظام رمزي مبني على احترام التقاليد.

"فقد أصبحنا نعرف آليته لمنع النساء اللواتي يمتلكن ميزة "طبيعية"، بيولوجية وهي ميزة التوجه نحو ترجمتها إلى سلطة اجتماعية، واخترعت المجتمعات الجماعاتية رأي الرجال الذين يمارسون فيها السلطة ترتيبات (أسطورية وشعائرية ومؤسساتية) تحدد وجودهن بمنزلة خاضعة وهوية* سلبية"[1]. "وهي تعبير عن مسألة الدينامية الأنثوية لتأكيد الذات، وهي أكثر اتساعا وتهديما منها لدى الرجل"[2].

فالهوية ليست اجتماعية فحسب، بل هي أيضا شخصية. والحال، أن "الفرد" لا يصبح بسهولة موضوعا لعلم الاجتماع. ففي استمرارية لدوركايهم يعتبر هو الآخر أن الوجود الاجتماعي، للأفراد (هويتهم الاجتماعية المرادفة للانتماء إلى فئة ملائمة اجتماعية)، هو ما يرثونه دون رغبتهم ويشكل سلوكياتهم دون أن يدركوا ذلك، فمفهوم الهوية للذات "لا ينتمي إلى مصطلحات علم الاجتماع التقليدي"، وتصبح الهوية الاجتماعية رديفا "للهوية الغيرية"[3].

* نفس المرجع ص129، أنظر إلى كتاب Simone de Bouvoir, le deuxième sexe صدر الكتاب عام 1949، تطرق فيه المؤلف إلى مسألة بناء الهوية الأنثوية شروطها وحدودها.

1- نفس المرجع.

2- نفس المرجع.

3- نفس المرجع ص28، أنظر على سبيل المثال François Dubet, Sociologie de l'expérience, Paris, Seuil, 1995في هذا الكتاب، يعتبر مفهوم الذاتانية الذي يتضمن إدراك فرد يتمتع بالذاتية ضمن خطر آخر أعمال Alain Touraine ، يعد أساسيا، للحداثة، لا يستطيع الإفلات من المقاربة السوسيولوجية، أنظر أيضا Alain Touraine, critique de la modernité, Paris, Fayard, 1992.

فالهوية الفردية والجماعية أيضا تعبر عن العمق الثقافي للمجموعات الاجتماعية، كما أن ظهور الهويات بأشكال متفاوتة ومتناقضة من شأنه أن يبرز طبيعة الصراع الحقيقي القائم داخل الأنساق في مضامينها التاريخية والثقافية.

من حيث العمق التاريخي في سيرورته والعمق الزمني المرتبط بالآنية المجتمعية الخاضعة لحتمية التغيير الذي تفرضه قواعد الصراع الثقافي من أجل إثبات ما يعرف بالبقاء للأقوى.

وهذا أمام اشتداد التنافس الغربي العربي حول راهنية العمق الثقافي لكلا القطبين وتبني فلسفة العولمة كشعار جديد من أجل تقزيم المعنى الحقيقي لنشوء الهويات عبر التاريخ من خلال الاستفراد ببعض المصطلحات كمصطلح "الذات" والترويج لها بطرق مختلفة.

"هذا الموقف هو الذي يعيد النظر فيه أكثر فأكثر علماء الاجتماع الذين يعتقدون أنه لا يمكن إبعاد الذاتية عن تحليل الوقائع الاجتماعية المعاصرة. لكن كيف يمكن الأخذ بالاعتبار هذه الذاتية في منظور سوسيولوجي؟ كيف يمكن تحديد مقاربة سوسيولوجية للهوية تأخذ بالاعتبار هويات "الذات" كيف يمكن بالتالي ممارسة علم اجتماع للذات والشخصية؟"[1].

مثل هذا التبني للأفكار، يبرز لنا بوضوح محاولة الأفراد داخل الأنساق، تجاوز الهويات الأساسية المرتبطة بالتشكيلات الاجتماعية ذات الأبعاد المؤسسة للكيان المجتمعي، والذي هو في جوهره صراع تاريخي قديم قامت على أساسه حضارات، وسقطت على أساسه حضارات.

1- المرجع السابق، ص25.

فراهنية التشكيل لهويات شباب المجتمعات العربية اليوم، يعكس لنا وبوضوح هذا الانشطار وهذا التبني الجديد لمجموع القيم الجديدة. يحدث هذا أمام تقهقر وزوال بعض القيم التقليدية والممارسات الثقافية الاجتماعية بما في ذلك "اللغة" أو "طريق التحدث" كتلك المرتبطة وبشكل واضح وشكل اللباس خاصة وبشكل ملفت للانتباه.

فجوهر الهويات في شكله العام لا يعيق تطور الحضارات كون الهوية تعبر عن أسلوب ونمط عيش للأفراد ولا يعني ذلك على الإطلاق الارتباط "الهوية" بفضاء معين.

بالنسبة إلى باحثين آخرين، الهوية الاجتماعية مفهوم أكثر التباسا طالما أن الانتماءات متعددة ولم يعد بمقدور أحدها أن يعرض نفسه مسبقا بصورة موضوعية بوصفه رئيسيا على سبيل المثال لم يعد يوسع التحليلات السوسيولوجية اليوم إغفال الجنس والأفضل أن نقول النوع الاجتماعي، فالعاملة غير العامل، والمرأة الكادر غير الرحل الكادر، لكن انتماءات أخرى تؤثر أيضا على السلوكيات والآراء، كالمنشأ الثقافي، ومكان الإقامة كما يؤثر على الجيل أو على المعتقدات الدينية عبر زيادة روايات الانتماء، فنتوصل إلى صورة للمجتمع أكثر تعقيدا وأكثر ضبابية وهذا في المنظور السابق. هكذا بمثل الانتماء المتعدد والمتبادل للأفراد في المجتمعات الحديثة مشكلة اجتماعية مريعة[1].

1- المرجع السابق، ص25-26.

هكذا سيبرز من خلال هذا الصراع، صراع آخر يعرفه السوسيولوجي "بصراع الأجيال" القائم على تبني بعض الفلسفات الجديدة واعتبارها نموذجا على مستوى الممارسات والاعتقادات، وهذا بغية مواجهة الممارسات والاعتقادات العرفية التقليدية على اعتبارها بالية وعتيقة لا تتوافق ومتطلبات الحداثة.

جدول رقم 23: توزيع عينة الدراسة حسب سؤال الرضى من عدمه من خلال الممارسات الانحرافية

هل أنت راضية على سلوكاتك	التكرار	النسبة%
نعم	13	%13
لا	55	%55
بدون إجابة	32	%32
المجموع	100	%100

من خلال الجدول يتضح لنا أن 55% من المبحوثات عبرن عن رفضهن لممارساتهن وهو تعبير عن مدى شعورهن ببعدهن عن قيم المجتمع.

نلاحظ أيضا أن 13% أجبن بنعم، مما يعبر عن تحدى المبحوثات للمجتمع من جهة ومن جهة أخرى، هناك من ترى بأن سلوكها غير منافي لطبيعة المجتمع الذي وجدت فيه. فمن خلال ما لاحظناه وما كنا نسمع من بعض الطالبات من خارج العينة، أنهن ولدن من رحم أسرة فيها الوالد والوالدة تدخن ناهيك عن بعض الممارسات المنافية لقيم المجتمع التقليدي. وبالتالي فرضاها تعبير عن قناعة ذاتية تولدت من نشأتها الاجتماعية.

32% هي نسبة غير المجيبات عن السؤال، تعبر عن احتمالين اثنين هما:

وهذا إما أن تكون المبحوثات قد تحرجن في الإجابة لوعيهن التام بوضعهن (أخطائهن).

وإما أنهن لم يصلن بعد إلى تقييم أنفسهن ولا يزلن متأرجحات بين الرفض والقبول، لسلوكاتهن كما قد يكون مرد ذلك إلى الخوف من المجهول "المستقبل" وما قد يلحق بهن، حالة قلق وتمزق وحالة من الازدواجية بسبب الظروف الاجتماعية.

وإما خوفا من وصمات وإما عدم الشعور بما هن عليه من وضع كأن تحاول الفتاة أن تعيش اللحظة دون تقييم لنتائج أخطائها، هي تعبير عن الاضطراب النفسي الذي تعاني منه المبحوثات.

إن مثل هذه الفئات المشكلة كجزء من النسق الاجتماعي هي إنما تعبر عن هوية مضطربة يأتي هذا خلال مرحلة عمرية جد حساسة من مراحل العمر عند الفرد (المراهقة غير المبكرة).

وبالتالي، ما تعيشه المبحوثات هو تعبير عن "هوية جديدة" رسمتها الظروف المعاشة داخل النسق المدروس "الحي الجامعي" كما يمثل تعبيرا آخر عن هشاشة القيم الأخلاقية الذي بدأ يشمل ثقافة وهوية لدى الفئة السياسية بشكل عام، الباحثة عن تماهي مع مباهج "العصرنة" و"الحداثة" وبداية عدم انصياع للقيم القديمة.

مما يجعلنا نخلص إلى أن عنصر الشباب يمثل القوة الفعلية المشكلة لنشاط المؤسسات في المجتمعات، ذلك أن قوة المجتمعات تقاس بحجم طاقاتها الشبانية.

أن الاختلالات الوظيفية في أداء الأدوار لدى الشباب والتي تعبر من خلال الاضطراب النفسي والصراع الداخلي الذي يعيشه الشاب أمام موجة التحديات العالمية الحالية المملوءة بالمغريات المادية، ما يجيع الشاب في مفترق الطرق وبين اتجاهين متعارضين.

فيحاول من خلال هذا التواجد إثبات وجوده ورغبته في الوجود وتأكيد الذات. هذا الاصطدام، وهذه المواجهة، تولد لدى الشاب نوعا من الاضطراب النفسي، الداخلي تزداد خطورته عندما يجسد الشاب المكبوت الداخلي في الممارسات السلوكية الانحرافية وبالتالي تبني المواقف المعارضة للمنطق الجمعي.

يظهر ذلك جليا عندما يتجه الشاب نحو الانزلاق باتجاه سلوكات منحرفة معياريا، بحكم التأثير الممارس عليه من طرف جماعة الرفاق أو الجماعة التي التحق بها، وهذا في مواجهة الصراع الداخلي الذي يجعله عرضة للتناقض الواقعي حول ما يؤمن به وما يجب أن يحمله من الجماعة التقليدية دون أن يتمكن من تجسيده على أرض الواقع كونه يرى أن القيم التقليدية لم تعد متماشية مع متطلبات الواقع الحديث.

هكذا سيشكل هذا الصراع وهذا المعاش "هوية مضطربة منزلقة" عن القيم المتعارضة مع قيم الأعراف التقليدية التي ينتمي إليها،

هذا الصراع الهوياتي الذي يعيشه شباب اليوم سيجعل الكثير منهم أمام مضايقات المجتمع ومؤسساته وفي تناقض داخلي، ينتج عنه الخوف المجهول "المستقبل" للكيان الفردي، وبالتالي نجده خائفا من مواجهة المجهول.

ولعل هذا ما تعاني منه معظم المجتمعات العالمية ضمن ثقافة العولمة التي تجعل الفردانية أساسا فلسفيا "لإنتاج الاستهلاك" و"استهلاك الإنتاج".

4- علاقة الانحراف بالأصل الجغرافي

"يكاد يكون العامل الجغرافي اليوم أهم العوامل الطبيعية في تشكيل حياة الإنسان، وتحديد نمطها، وطبع الناس الذين يعيشون عليها بطابع معين، يتميزون به عن غيرهم من الشعوب التي تعيش على أرض مختلفة، وفي بيئات مغايرة"[1].

وهو ما سبق إليه ابن خلدون في مقارنته بين سكان الصحراء وأهل الفلول، على حد تعبيره، حيث يرى أن أهل الصحراء "يفقدون الحبوب والأدم جملة، إنما أغذيتهم وأقواتهم الألبان واللحوم"، وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار، أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم من أهل الفلول، المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى، وأبدانهم أنقى، وأشكالهم أتم وأحسن، وأخلاقهم أبعد من الانحراف، وأذهانهم أثقف من المعارف والإدراكات[2].

هكذا حاولنا أن نجعل منه متغيرا "الأصل الجغرافي" لفهم هذه الطبائع وهذا التطبع، والجدول التالي يبين توزيع المبحوثات حسب الانحراف والانتماء الجغرافي.

1- د.عبد الغني عبود، بيومي ضحاوي وآخرون، ***التربية المقارنة والألفية الثالثة الإيديولوجية والتربية والنظام العالمي الجديد***، سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس (13)، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000، ص139.

2- المرجع السابق، ص141.

جدول رقم 24: توزيع عينة المجتمع المدروسين حسب الأصل الجغرافي

الأصل الجغرافي	النسبة%
مدينة	%20
ريف	%02
قرية	%45
دون إجابة	%33
المجموع	%100

من خلال الجدول نلاحظ أن الطالبات القادمات من المدن (نقصد بها الولايات وبعض من المدن الداخلية كمدينة سوقر، وادي رهيو، حمام بوحجر...) أقل انحرافا بمعدل 20%، وهذا قد يعني أن للمدينة دور توعوي كبير في تكوين الفرد وإعداده.

في مقابل ذلك نجد نسبة الطالبات القادمات من القرى بمعدل 45% هن أكثر عرضة للانحراف قد تعود أسباب ذلك إلى الانبهار بالفضاء الجديد المليء بالإغراءات المادية والحياتية.

في حين يتضح من الإجابة عن السؤال الثاني (القادمات من الرقف) في الجدول أن نسبة الانتماء قليلة 02% قد يفسر ذلك إما عزوف الفتاة عن مواصلة تعليمها بسبب الظروف المادية والمعيشية الصعبة، أو لتحاشيها الإدلاء بانحدارها من الريف وبالتالي تمتنع عن الإجابة وهذا تفسير واضح عن الصراع القيمي الذي تعيشه الفتاة مع ذاتها ومع المجتمع.

كل هذه المؤشرات تبدو وكأنها ناتجة عن عدم الانسجام، ذلك أن المجتمع الريفي الذي كان ينعم فيه الفرد بتماسك العلاقات الجماعية وتوفر إلى حد ما نوعا من التضامن حيث تبرز بعضا من معاني القرابة والوحدة واحترام الوجود العائلي وبالأخص سلطة الأب والكبير في العائلة.

لم تعد حاضرة بتلك القوة وبذلك النفوذ وتلك السلطة المقبولة اجتماعيا من الطرفين. إن داخل الأسرة الريفية توجد معالم الرقابة والتضامن، الانصياع وروح الجماعة. "حيث أن غياب الأبوين عن المنزل لا يعني غياب الرقابة الأسرية، ذلك أن أي فرد من الأسرة الممتدة يمكن أن يحل محل الأبوين وأن يقوم بدورهما مع اقتناع الأولاد أن احترام الأقارب وأرائهم وتقدير ما يقومون به أمر لا نقاش فيه".[1]

في حين عبرت نسبة 20% كون الطالبات قادمات من المدن والمدينة تعني في معناه العام تعبر على نوع من التحضر، مقابل 45% عبرت عن الأصول الجغرافية للعينة المدروسة من القرية.

فالقرية بمجالها الضيق ونمطها المعماري والاجتماعي والثقافي تتحكم فيها الكثير من القيم العرفية.

غير أنه بمجرد التحاق الطالبة بمدينة كبرى (كمدينة وهران) تجد نفسها أمام الكثير من التغيرات العمرانية والاجتماعية وحتى الثقافية والاقتصاديـــة

1- بوبيدي لامية، **انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري**، مرجع سابق، صفحة 246.

التي تجعلها عرضة لصدمة الانبهار قد تدخلها إلى عالم الانحراف بمجرد الالتحاق بالحي الجامعي الذي تتحرر فيه من قيود الرقابة.

خاتمـــــــة

القيم الأخلاقية هي عبارة عن رموز حضارية تعبر في الأساس عن موروث تاريخ الشعوب في مجال التنشئة والضبط الاجتماعي، ذلك أن القيم الأخلاقية من منطلق الاعتقاد الجمعي، هي أساس توحد الجماعات وانضباطها، وهي في ذات الوقت تشكل النسيج والروابط الاجتماعية.

بتعبير آخر، الأخلاق أساس استمرارية الشعوب في مسارها التاريخي المتأثر بكل المؤثرات الخارجية ثقافية، اقتصادية، اجتماعية ودينية.

فالرمز الأخلاقي بأشكاله (شكل اللباس، آداب الكلام، أخلاق الزواج، آداب العلاقات...) وعبر قنواته التمريرية بأشكالها العرفية والتقليدية، يعتبر حاملا للموروث الثقافي.

كما يعبر الرمز الأخلاقي عن أصالة المجتمعات التي استطاعت رغم الهزات التاريخية الحفاظ على هذا البعد المكون لها ولمجموع الهويات فيها عبر التاريخ.

ومنه يمكن استنتاج معنا عاما وهو أن الأخلاق وإن تغيرت عبر المراحل التاريخية، إلا أن هذا التغير حمل الكثير من المعاني والدلالات التصحيحية من جهة والخاطئة من جهة أخرى.

حيث عانت الأنساق من حملها على تبني قيم تتعارض وقيمها الأصيلة وبالتالي تم تبني سلوكات وأفكار جديدة، يعني إنتاج هويات جديدة متعارضة أحيانا ومتوافقة أحيانا أخرى.

يحصل الحفاظ على العنصر الواحد المشكل لهذا الأساس الأخلاقي وهو الفرد، وذلك من خلال إبراز وترسيخ معنى القيمة الخلقية لديه.

ويحصل هذا من خلال قنوات تمريرية متمثلة في الأسرة بالدرجة الأولى، ثم المجتمع بالدرجة الثانية (جماعة رفاق مدرسة، حي، نادي..) ووسائل الإعلام بالدرجة الثالثة.

تبقى الأخلاق بهذا الفاصل الوحيد في حياة الفرد التي تمكنه من استنتاج معنى الحياة ومعنى الكينونة التي وجد لأجلها.

بالتالي يمكنه هذا الموروث من تحديد أدواره ومسؤولياته داخل النسق وفق الممنوع والمسموح و بها يمكن للفرد أن يصنع إستراتيجية منظمة في حياته تجعله فاعلا إيجابيا في وسطه المعاش من خلال الإحساس بالثقة ومبدأ الانتماء.

فالمجتمعات، تشهد حركة سريعة على صعيد التغيرات الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، السياسية وحتى الدينية، هذا التغير المتسمر والمتنامي، جعل "الهوة" تشيع بين الفرد والجماعة من جهة، وبين الفرد والفرد من جهة ثانية.

مما جعل مفهوم "الهوية" يتسع ومفهوم "الفردنة" ينتشر، فالتفتيت الحاصل اليوم بفعل تنامي ثقافة العولمة التي من أساسا ثقافة "استهلاك الإنتاج" و "إنتاج الاستهلاك"، قد أفرزت ظواهر وانتماءات وحتى معتقدات وقيم جديدة، تتعارض مع تلك الموروثة تاريخيا لدى الفرد والجماعة.

هكذا كان عملنا ينصب في هذا المصب، حيث أنه من مجمل ما توصلنا إليه من خلال هذه الدراسة، "ظاهرة الانحراف" الاجتماعي ومسبباته الأساسية، مركزين في الدراسة على المرأة دون الرجل، وبالتالي ما توصلنا إليه من نتائج خاصة بعينة المجتمع المدروس لا يمكن تعميمها.

فمسألة التعميم والقياس في الدراسات الاجتماعية ذو صبغة نسبية، لا يمكن قياس الجزء فيها بالكل ولا حتى التنبؤ بالوصول إلى نفس النتائج، وعليه تتسم نتائج البحوث المتوصل إليها في الدراسات الاجتماعية بالاحتمالية أي احتمالية التحقق من عدمه.

غير أن الدراسة والنتائج المتوصل إليها أعطتنا بعض التفسيرات المتعلقة بتحليل المجتمع وما نعيشه الآن من تحولات صعبة، تكمن الصعوبة فيها في ظهور مجموعة القيم والعادات والتقاليد الغربية عن المجتمع والأعراف التي تعتبر المؤسس للهوية الجماعية والفردية على حد سواء، أمام ظهور هويات جماعية وفردية تعبر عن الهشاشة والانزلاق وبالتالي إحداث تمزقات داخل النسق العام التي تؤدي إلى ظهور ما يعرف بالآفات والاختلالات الاجتماعية كالانحراف مثلا.

تلخصت نتائج الدراسة في النقاط التالية:

1- ثقافة شباب اليوم أصبحت تنحى منحى العولمة -بكل ما تعنيه هذه الكلمة في عمقها التأسيسي والتفسيري والمعنى منه طمس كل الثقافات وإدراجها ضمن ثقافة المجتمع الواحد-.

تتلاحم فيه كل المجتمعات في مجتمع واحد، هو نموذج للحضارة العصرية ومحاولة لإنتاج ثقافة واحدة لا حدود فيها لحريات الأفراد، على اعتبار أن:

- ثقافة المجتمع تحمي قيم المجتمع من الاندثار
- ثقافة المجتمع تعني أصل الشعوب والأمم وأصل بقائها
- ثقافة المجتمع تعني الريادة عبر التاريخ الماضي والمستقبل المقبل

– ثقافة المجتمع تعني الحماية وتعني الوجود وإلزامية الوجود.

2– إن نتائج الدراسة بكل معطياتها وإن خصت عينة المجتمع المدروس وما تم استخلاصه لا يمكن تعميمه،

إلا أن واقع مجتمعنا الحالي وإن اختلفت فيه حالات "الانحراف"، يبقى المعنى العام منه متوافق تبعا للظروف الاجتماعية حيث تتدخل في حدوثه عوامل كثيرة ومختلفة.

* ظروف التنشئة الاجتماعية المشحونة بالتوترات، وغياب الأهل في تربية الأبناء، خلال المراحل الأولى من العمر، كثرة المشاجرات، اللااستقرار، وغياب دور الأب، إضافة إلى تعنت سلطة الأبناء الذكور على الإناث، وإعطاء الأبناء حرية التصرف في حياتهم الشخصية وفق الأهواء والرغبات،

كلها تساعد في توسيع حلقة "الانحراف"، كما أن مرحلة المراهقة التي يشدد فيها علماء النفس على مراقبة الطفل فيها منذ البداية حتى لا تصل إلى درجة الانفلات تعد عاملا مؤثرا يضاف إلى ذلك.

* سيطرة المادة في توجيه سلوك الفرد بسبب الظروف الاقتصادية المرتفعة وغلاء المعيشة، والإغراءات المادية من لباس، أكل، وأسلوب الحياة،

مما يجعل الفرد يشعر وكأنه غريب في مجتمعه. ومحاولة منه تخطي هذا المستوى تجد الفرد يقدم على كل الممارسات من أجل الحصول على مبتغاه.

فيتحول الممنوع عنده إلى مسموح به، والخطأ عنده صوابا والمحرم حلالا، وبالتالي تصبح المادة عنده أساس وجوده. فيتجه نحو كسر كل ما هو ممنوع ورادع في حياته (التدخين، المخدرات، الخمرة، السرقة...) مما يجعله في أعين الآخرين فردا منحرفا لا يراعي أصول مجتمعه ولا متطلبات أسرته.

* تحاول الفتاة أن تجد لذاتها مكانة تعبر فيها عن مكبوتاتها الداخلية في مرحلة محددة من العمر، ستأخذ منعرج الخطورة مع سن المراهقة، وتزداد حدتها خلال المرحلة المتقدمة من النضج الأنثوي والتحاق الفتاة بالجامعة ودخول الحي الجامعي.

تجد الطالبة نفسها محررة من القيود الأسرية والعرفية، وهنا تختلف فئات الشباب حسب تركيبة كل شخصية وحسب الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لكل فئة.

فهناك فئة من الشباب تتمكن في التوفيق بين الحرية والرغبة في فعل الأشياء حسب المسموح والممنوع في المجتمع، وهناك فئة لا تستطيع التوفيق بين الحرية والرغبة في ممارسة الحرية حسب الضوابط الاجتماعية.

هذا التفسير يوضح لنا المستوى العام لشخصية الشباب الحائر بين الاتزان والضياع أمام المغريات.

فالانبهار بالحرية الممنوحة للمرأة تجعل حدودها بلا حدود في ممارسة حياتها وبالتالي الوقوع في الممارسات المحضورة اجتماعية والمرفوضة من طرف الجماعة.

بالتالي الوقوع في "الانحراف"، وهذا ما عبرت عليه نتائج الدراسة. ذلك أن أغلب المبحوثات تقول بأنها غير راضية عن وضعها، ولا عن سلوكاتها وتصرفاتها، وهي بهذا تحمل المجتمع تبعات أخطائها.

فالاعتبارات المتفاوتة المسببة لتوجيه السلوك الفردي أو الاجتماعي الأنثوي نحو "الانحراف"، باختلاف مسبباته، كالتي تطرقنا إليها من ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية وجغرافية.

تعكس لنا الفهم العام الذي أنتجته مثل هذه الأحوال في إحداث تغيرات اجتماعية وثقافية تكون مرتبطة بنقل القيم العرفية والأخلاقية التقليدية، نحو قيم اجتماعية جديدة تفسر المعنى العام للتوجه الأنثوي نحو الحرية والتحرر من القيود الاجتماعية القديمة التي خلفت ما يعرف بصراع الأجيال.

بالتالي خلق ما يعرف بانحلال الرابط الاجتماعي، والذي يعني إنتاج هويات جديدة.

إن مثل هذه الأحوال التي تعيشها المجتمعات العربية، والتي تعبر عن حالة مخاض عسير تنبئ بميلاد مجتمع جديد وبقيم جديدة. يعبر هذا المجتمع الجديد يعبر عن حالة التغير الذي انتهجته هذه المجتمعات برضاها أو بغير رضا منها، حيث تمثل فيه المرأة دواليبه، باعتبارها الكيان الأصيل الذي يقلب موازين التنظيمات الاجتماعية.

الأسباب التي ناقشناها في دراستنا هذه ، باعتبارها الدافعة لعكس سلوك "الانحراف" لدى الفتاة نجدها في مجملها لا تشخص تماما ما يمكن وصفه "بالسلوك الفردي الخارج عن القيم المتعارف عليها".

لذا كان لزاما علينا طرح سؤال آخر يفتح مجال البحث واسعا وهو كالتالي:هل حضور الأسباب التي تطرقنا إليها كافية في توجيه السلوك الفردي نحو الانحراف وتغيير منظومة القيم الأنثوية ؟ .

المراجـــــع

المراجع باللغة العربية:

1) ابن خلدون عبد الرحمن، ***المقدمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر***، مطبعة الشرفية، القاهرة، 1327.

2) الأخضر لطيفة، امرأة الإجماع، سراس للنشر، تونس، 2001.

3) برنارد مولد وورق، ***دليل المناضل في النظرية الماركسية والمسائل الجنسية عند المرأة***، ترجمة عبد الله اسكندر، دار ابن خلدون، لبنان، 1975.

4) بوتفنوشت مصطفى، ***العائلة الجزائرية***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

5) بوعناقة علي، **الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية-الاجتماعية على الشباب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.

6) بول ريكو، ***الذات عينها كآخر***، ترجمة جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005.

7) بن نعمان أحمد، **الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات**، دار الأمة، الجزائر، 1996

8) تركي ثريا، ***هكذا تكلمت النساء***، دار ميريت، القاهرة، ط01، سنة 2006.

9) الجوهري عبد الهادي، ***معجم علم الاجتماع***، مكتبة النهضة، القاهرة، 1982.

10)الجوهري محمد، الخريجي عبد الله، ***طرق البحث الاجتماعي***، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.

11)الحيدري إبراهيم، ***النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب***، دار الساقي، ط1، سنة 2003.

12)الزبيدي كامل علوان، ***علم النفس الاجتماعي***، الوارق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

13)الشربيني زكريا، ***تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته***، دار الفكر العربي، مدينة مصر، 1996.

14)صبار خديجة، ***الإسلام والمرأة***، واقع وآفاق، ط1، إفريقيا الشرق، 1992

15)عاطف محمد غيث، ***قاموس علم الاجتماع***، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية.

16)عبد الغني عبود، بيومي ضحاوي وآخرون، ***التربية المقارنة والألفية الثالثة الإيديولوجية والتربية والنظام العالمي الجديد***، سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس (13)، دار الفكر العربي، ط1، 2000.

17)عبد الله مجدي أحمد، ***السلوك الاجتماعي وديناميته***، دار الفكر، الإسكندرية، 2003.

18)عنصر العياشي، ***الجامعة اليوم***، أعمال ندوة، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، وهران ماي 1998.

19)غيث محمد عاطف، ***المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي***، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية.

20)فتحي المسكيني، ***الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"***، دار الطباعة، بيروت، 1998.

21)فوزية دياب، ***القيم والعادات الاجتماعية***، بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

22)كلود دوبار، ***أزمة الهوية***، ترجمة رندة بعث، المكتبة الشرقية، ط1، 2008.

23)كولن ويلسن، ***أصول الدافع الجنسي***، ترجمة يوسف شرورو، سمير كتاب، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2، 1972.

24)كركوش فتحية، ***ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

25)محمد العربي ولد خليفة، ***المفاهيم الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية***، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989.

26)مداس فاروق، ***قاموس مصطلحات علم الاجتماع***، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع.

27)المشيقح عبد الرحمن بن صالح ***إطلالة على دراسات المستقبل***، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1997.

28)مصطفى التواتي، ***التعبير الديني عن الصراع الاجتماعي في الإسلام***، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2003.

29)مصطفى حدية، ***التنشئة الاجتماعية والهوية***، دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتمدرس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 196.

30)معن خليل العمر، ***علم اجتماع الانحراف***، ط1، الإصدار الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009.

31)مكي التهامي، ***الانحراف وتعاطي المخدرات***، ندوة انحراف الأحداث، منشورات جمعية رباط الفتح، 1987.

32) والتر روني، ***أوروبا والتخلف في إفريقيا***، ترجمة أحمد القصير، مراجعة إبراهيم عثمان، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

33) مقام عبد القادر، **ثقافة السلام، قانون استعادة الوئام المدني في الجزائر نموذجا**، مقاربة انثروبولوجية، دار الغرب للنشر و التوزيع.

- الدوريات :

34) المعهد العربي لحقوق الإنسان، ***الوضع القانوني والاجتماعي***، دراسات ميدانية في ثمانية دول عربية مع دراسة تأليفية، المعهد العربي، تونس، 1996.

35) مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، ***الفتاة العربية المراهقة***، الواقع والآفاق، دار الكوثر، تونس 2003.

36) حسني محمد محمد مها، العذرية والثقافة، ***دراسة في أنثروبولوجيا الجسد***، خطة بحث لنيل درجة الدكتوراه في الآداب قسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، إشراف فاروق محمد العادلي، نبيل صبحي حنا.

37) محمد السيد سليم، ***الجامعات العربية وظاهرة التبعية العلمية***، المستقبل العربي، عدد 04.

38) المجلة الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسة علم النفس، مقال "**مقاربة نفسية للرباط الوجداني بين الأبوين والبنات والبنين**"، عدد 09، تونس، 1995.

39) محمد باشوش، ***مساهمة في دراسة وظائف الجامعة التونسية***، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، 1985.

40) سعيدي يحيى، برحومة عبد الحميد، ***ظاهرة الفقر في العالم العربي***، أسبابها وانعكاساتها وكيفية معالجتها، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

41) مرابط أولمان إيمان، ***الجامعة والتنمية، طالبات ومشاريع مستقبلية***، دراسة ميدانية بجامعة السانيا، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التنمية والتغيير الاجتماعي، جامعة السانيا وهران، 2002، 2003.

42) بوبيدي لامية، ***انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري***، دراسة ميدانية بالمركزين المختصين لإعادة التربية لولايتي "قالمة" و"الوادي"، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنظيم والعمل، 2008، 2009.

43) معطى سولاف، ***"الشرف" في المجتمع الجزائري، مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية حول واقع وتمثلات الطالبات الجامعية لحياتها الجنسية***، رسالة ماجستير، فسم علم الاجتماع، جامعة السانيا، وهران، 2003-2004.

44) موفقي وفاء، **عوامل جنوح الاحداث، دراسة ميدانية في مركز اعادة التربية، بولاية وهران**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة السانيا، وهران،2002-2003.

45) بريجة الشريفة، **المرأة الجزائرية و المنظومة القيمية في المجتمع، دراسة مقارنة بين المرجعيات و المعيش اليومي للمرأة**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة السانيا، وهران،2008-2009.

- المواقع الالكترونية:

46) www.annabaâ.org/nbanews/64/292htm.

47) http://Fr.wikipédia.org/wiki/D/C3/Agviance

48) http:\\www.UMN.cdu/hamanrts/arabic

49) http://www.alimam_master.com/archive/index.php/t-15.htmL

50) ts29.Free.Fr/…/Fiche%20 lecture%20 outsiders %20 (H.%20 Becker).doc. le 24/04/2009

51) http://libertariens.chez.com/normes.htm.

52) wikipidia.org/wiki/socialisation,

- الجرائد:

53) جريدة الشروق، العدد 2976، السبت 2010/06/26

54) جريدة الخبر، الجمعة 2010/12/10

- المراجع باللغة الفرنسية :

55) Abdelkadeur Bencheick, ***pouvoir, lire***, éducation et développement, thèse d'Etat, université Bordeau III, 1977, 1978.

56) Albert Ogien, ***sociologie de la déviance***, 2ed Armon Collin, Paris, 1995.

57) Becker Howard, ***outsider***,ed A.M Metailé, 1985.

58) Bourdieu Pierre, ***Esquisse d'une théorie de la pratique***, ed droze, Genève, 1972.

59) Bourdieu Pierre, ***la domination masculine***, ed Seuil, Paris, 1998.

60) Bourdieu Pierre, ***le Sens pratique éd de minuit***, Paris, France, 1980.

61) Ch.Achour, ***Algérie et femme***, éd association aicha, Alger, 1994.

62) Chabel Malek, **l'imaginaire arabo-musulman**, ed P.U.F, 1993.

63) Feschet Jean, ***s'initier a la sociologie, vivre autrement les changement***, éd chronique sociale, Lyon, 1999.

64) Ghallagher, Charrod, Bourquia, ***Femme, culture et société au Maghreb***, éd Afrique, Orient 1996, tome 01, Casablanca.

65) Ghighone Rodolphe, les enquêtes sociologique, théories et pratique, Armond Colin, Paris, collection 4, 1978.

66) Hendras Henri, ***le sociologue et son terrain***, ed Armand Collin, 2000.

67) Max Weber, ***l'éthique protestante et l'esprit du capitalisme***, ed Plon,

68) Michel Foucault, **Qu'est ce que les lumières** ? Gallimard, Paris, 1994Paris, 1964.

69) Mendras- Henri, obertir- Marco, « **le sociologue et son terrain** », ed Paris Armond, Collin, 2000.

70) Morin Jean, Michel, ***précis de sociologie***, ed Nathan, 1996.

71) Mostafa Boutefnonchet, **la famille algérienne**, évolution et caractéristiques récents, SNED, Alger, 1980

72) Quivy Luc Van Raymond, ***Manuel de recherche en sciences sociales***, éd Dunod, Paris, 2ème éd. 1995.

73) Rivers Ritt-Jullian, ***Antrhropoligie de l'honneur***, la mésaventure de sichern, éd sycomore, Paris, 1983.

74) Ramaoun Hassan, **Université comme produit de l'histoire**, in insaniyat, n°06, Septembre-décembre, 1998

75) Olivier Jean Pierre du Sarda, **Anthropologie et développemen**t, essai en socio-anthropologie du changement social, Paris, ed Karthala, 1995.

76) Vernhs Mireille, ***le bien être et la forme*** , éd Robert laffont, 1985.

الملاحـــــــق

دليل الاستمارة

1- السن :

2- المستوى الدراسي:

3- التخصص: أدبي☐ علمي☐ تقني☐

4- الأصل الجغرافي: مدينة☐ ريف☐ قرية☐

5- نوع السكن : ريفي☐ مدني/ حضري☐ أخرى (فوضوي)☐

6- هذا السكن : ملك☐ إيجار☐ جماعي☐

فردي☐ شيء آخر☐

7- الحالة المدنية: عزباء☐ مخطوبة☐ متزوجة☐

8- هل لديك إخوة : نعم☐ لا☐

9- كم عدد الإخوة: ذكور☐ إناث☐

10-هل يدرسون: نعم☐ لا☐

11-كم عدد المتمدرسين في :الإبتدائي☐متوسط☐ ثانوي☐ جامعي☐

12-المستوى التعليمي للأب : مسجدي☐ ابتدائي☐ متوسط☐

ثانوي☐ جامعي☐ أمي☐

13-المستوى التعليمي للأم : مسجدي☐ ابتدائي☐ متوسط☐

ثانوي☐ جامعي☐ أمي☐

14-هل الأب يعمل: نعم☐ لا☐

15-مهنة الأب:.....

16-هل الأم تعمل : نعم☐ لا☐

17-مهنة الأم: .....

18-كم يقدر الدخل الشهري للأب؟.....

19-كم يقدر الدخل الشهري للأم ؟.....

20- الوضعية الأسرية: مستقرة ☐ غير مستقرة ☐

طلاق ☐ خصومات ☐

شيء آخر أذكريه.....

21-في حالة الطلاق مع من تعيشين؟ الأب ☐ الأم ☐

22-هل أنت راضية على ذلك؟ نعم ☐ لا ☐

23-إذا كان نعم كيف ذلك؟.....

24-سنة التحاقك بالجامعة ؟.....

25-هل عارض والدك التحاقك بالجامعة؟ نعم ☐ لا ☐

26-في حالة نعم من عارض التحاقك بالجامعة؟ الأب ☐ الأم ☐

27-لماذا؟.....

28-هل عارض أحد الأقارب التحاقك بالجامعة؟ نعم ☐ لا ☐

29-في حال نعم من أجبرك على الالتحاق بالجامعية؟ ولماذا.....

.....

30-عندما التحقت بالجامعة كيف وجدت الحي الجامعي ؟

مثلما كنت تتصورين ☐ مكانا سيئا ☐ مكانا ترتاحين فيه ☐

31-كيف ذلك.....

32-هل لديك أقارب هنا (أي وهران) ؟ نعم ☐ لا ☐

33-في حالة نعم، هل يزودونك؟ نعم ☐ لا ☐

34-في حالة نعم أو لا؟ كيف ذلك.....

35-في حالة نعم؟ هل تقابلين الزيارة: بترحيب ☐ ترفضين ☐

36-لماذا.....

37- هل مثل هذه الزيارات تقيد حريتك؟ نعم☐ لا ☐

38- كيف ذلك.....

39- من ينفق عليك؟ الأب☐ الأم ☐ الأخ☐ الأخت☐

الصديق☐ شخص آخر أذكريه.....

40- هل يكفيك مصروف الأهل؟ نعم ☐ لا ☐

41- إذا كان نعم أو لا؟ كيف ذلك.....

42- هل تلجئين للاقتراض (الدين)؟ نعم ☐ لا ☐

43- إذا كان نعم؟ لماذا.....

44- هل يرغمونك على رد القرض (الدين) في أوقات محددة؟ نعم☐ لا☐

45- إذا لم تتمكنين من رد القرض، من يساعدك في رده؟.....

.....

46- بكم تقدرين مصروفك الشهري؟.....

47- هل تكفيك نفقات الأهل؟ نعم☐ لا ☐

48- كيف كنت تعاملين في البيت ؟ أسلوب حسن ☐ أسلوب سيئ☐

49- كيف ذلك.....

50- هل يتدخل الأقارب في حياتك نعم ☐ لا ☐

51- إذا كان نعم من ؟ وكيف ذلك؟.....

52- هل تتقبلين هذا التدخل : بالرفض☐ القبول☐

53- هل ساعدك غياب الأهل في ممارسة حريتك كما ترغبين: نعم☐ لا ☐

54- إذا كان نعم، فيما تتمثلين حريتك؟ هل في :

الخروج كما تشائين نعم☐ لا ☐

تعاطي المخدرات نعم☐ لا ☐

تعاطي التدخين نعم ☐ لا ☐

تعاطي الخمرة نعم ☐ لا ☐

توقيف السيارات نعم ☐ لا ☐

ممارسة البغاء نعم ☐ لا ☐

55-عندما التحقت بالحي الجامعي؟ هل وجدت في الغرفة ؟

طالبات سلوكاتهن حسنة ☐ طالبات سلوكاتهن سيئة ☐

كيف ذلك.....

56-هل أثرت عليك سلوكات صديقاتك في الحي؟ نعم ☐ لا ☐

57-إذا كان نعم، كيف ذلك.....

58-هل تغير أسلوب حياتك في الجامعة إلى: الأحسن ☐ الأسوء ☐

59-كيف ذلك؟.....

60-هل لك علاقات عاطفية؟ نعم ☐ لا ☐

61-هل تتعدد علاقاتك العاطفية إلى أكثر من واحد ؟ نعم ☐ لا ☐

62-إذا كان نعم؟ كم تحصين عددهم.....

63-في رأيك لماذا مثل هذه التصرفات.....

64-هل تثقين في الرجال؟ نعم ☐ لا ☐

65-لماذا.....

66-مثل هذه السلوكات في رأيك هل هي :

هروب من الواقع ☐ تمرد على المجتمع ☐

من أجل النسيان ☐ نزوة عابرة ☐

استجابة لغريزة طبيعية ☐ شيء آخر أذكريه.....

67-مثل هذه السلوكات في رأيك هل هي تعبير :

على وضع عادي ☐ انحراف ☐

68-في رأيك ما هي الأسباب الحقيقية التي تدفعك لمثل هذه الممارسات؟ هل هي

1- أسرية ☐ كيف ذلك.....

2- أسباب اقتصادية ☐ كيف ذلك.....

3- أسباب اجتماعية ☐ تأثير جماعة الرفاق ☐ البرابول ☐

4- أسباب نفسية ☐ الغضب ☐ الفراغ ☐

5- أسباب جغرافية ☐ الانبهار بالمحيط الجديد ☐

69-في رأيك هل ترفضين هذا الواقع؟ نعم ☐ لا ☐

70-إذا كان نعم أو لا؟ لماذا.....

71-هل تصلين ؟ نعم ☐ لا ☐

72-إذا كان نعم هل يكون ذلك بانتظام ☐ أحيانا ☐

73-إذا كنت لا تصلين لماذا ؟.....

74-حسب رأيك هل للدين أثر في حياتك؟ نعم ☐ لا ☐

75-في كلتا الحالتين، كيف ذلك.....

.....

76-عندما يعلم الناس أنك من الحي الجامعي، كيف يعاملونك؟

باحترام ☐ بسوء ☐ عدم المبالاة ☐

77-هل تعرض لمضايقات خارج الحي الجامعي؟ نعم ☐ لا ☐

78-إذا كان نعم، فيما تمثلت هذه المضايقات:

اعتداءات جسدية ☐ جنسية ☐ تجريد من المال والذهب ☐

شيء آخر.....

79-كيف تجدين سمعة الفتاة الجامعية الداخلية عند الناس؟ طيبة ☐ سيئة ☐

80-كيف تنعت الفتاة الداخلية عند الناس، حسب ما تسمعين ؟

.....

81-هل تستائين كونك من الحي الجامعي؟ نعم ☐ لا ☐

82-كيف ذلك.....

83-كيف تقيمين فترة وجودك في الحي الجامعي ؟ السلب ☐ الإيجاب ☐

84-فيما تمثل ذلك.....

85-هل أنت راضية على وضعك؟ نعم ☐ لا ☐

86-كيف ذلك.....

<u>ملاحظة</u>: إذا وجد أي اقتراح لا يوافق رغباتك يمكنك الاقتراح والتوضيح.

دليل أسئلة المقابلة :

اعتمدنا على تقنية المقابلة نصف الموجهة حسب المحاور، وقد تم ذلك بالاعتماد على أسلوب الدفع، من أجل إثراء حلقة النقاش، باختلافات متباينة كل حالة وما تقتضيه من أسئلة، حيث تمت مدة المقابلة بين الساعة إلى الساعة والنصف وكانت الأسئلة على النحو التالي:

المحور الأول: حول التنشئة في الأسرة

- أسلوب التربية
- العلاقة بين الأهل (الوالدين والأخوة)
- الرقابة الأسرية

المحور الثاني: الحي الجامعي

- حقيقة الوجود في الحي الجامعي
- ماذا يعني الحي الجامعي
- علاقاتك مع طالبات الحي الجامعي

المحور الثالث: الأسباب الحقيقية للانحراف

- السبب الاقتصادي، كيف ذلك؟
- السبب الاجتماعي، كيف ذلك؟
- السبب الجغرافي كيف ذلك؟

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصـــــل التمهيـــــدي

- مقـــدمـــــــــة..... 1

1- الإشكال..... 5

2- الفرضيات..... 9

3- دوافع اختيار الموضوع 11

4- الهدف من الدراسة..... 12

5- مجال الدراسة..... 12

6- المنهج 13

7- تحديد عينة البحث..... 13

8- تقنيات البحث..... 15

9- زمن الدراسة..... 20

10- دراسات سابقة..... 22

11- تحديد المفاهيم..... 29

12- مخطط العرض..... 37

13- صعوبات البحث..... 39

الفصل الأول: سوسيولوجيا الانحراف

1- سلوك المنحرف..... 44

2- الانحراف الاجتماعي..... 47

3- انحراف أم جنوح أحداث..... 50

4- النظريات المفسرة للسلوك الانحرافي..... 51

5- أسباب ومنشأ الانحرافات السلوكية..... 57
6- مؤشرات الانحراف داخل المجال المدروس..... 61

الفصل الثاني : دور الجامعة في التنمية البشرية

1- دور التعليم في ترسيخ القيم..... 82
2- دور الجامعة التعليمي 83
3- عملية التنمية في القطاع 85
4- الجامعة الجزائرية.....87
5- الجامعة والمحيط..... 89
6- علاقة الانحراف بالتخصص..... 90
7- الحي الجامعي كفضاء جديد..... 92
8- ما يحدث داخل الحي الجامعي..... 96

الفصل الثالث: الأسباب الاجتماعية للانحراف

1- التركيبة الهرمية داخل الأسرة الجزائرية..... 108
2- دور الهرمية داخل الأسرة..... 111
3- العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة..... 115
4- العلاقات الاجتماعية مع الأقارب..... 119
5- العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة..... 121
6- الموضة والقيم العرفية..... 124

الفصل الرابع : الأسباب الاقتصادية للانحراف

1- التحولات الجيوسياسية وأثرها على المجتمع الجزائري..... 130

2- علاقة الانحراف بالفقر..... 134
3- الفقر في الجزائر..... 136
4- الوضع الاقتصادي لعينة المجتمع المدروس..... 141
5- تقديرات عينة البحث للدخل الشهري للأولياء..... 145
6- تقديرات عينة البحث لمصرفها الشهري..... 146

الفصل الخامس : الأسباب الثقافية للانحراف

1- علاقة المستوى الثقافي للوالدين بتوجيه سلوك عينة المجتمع المدروس.. 152
2- الدين والتغير الاجتماعي..... 156
3- أزمة الهوية ضمن المجال المدروس..... 161
4- علاقة الانحراف بالأصل الجغرافي..... 173

- **الخاتمة**..... 178
- **المراجع**
- **الملاحق**
- **فهرس الموضوعات**